مدخل
إلى علم التفسير

دروس منهجية



تأليف
د. هاشم ابو خمسين

تحقيق
احمد عبد الحسين رهيف

مدخل

إلى علم التفسير

مدخل

الى علم التفسير

(دروس منهجيّة)

إعداد:

د. هاشم أبو خمسين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا يأتونك بمثلٍ إلاّ جئناك بالحقّ وأحسن تفسيراً ﴾

[الفرقان: ٣٣]

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّـد عَبْـدِكَ وَرَسُـولِكَ وَآلِ مُحَمَّـد، صَلاَةً عَالِيـةً عَلَـى الصَّـلَوَاتِ مُشْـرِفَةً فَـوْقَ التَّحِيَّـاتِ، صَـلاَةً لاَ يَنْتَهِـي أَمَـدُهَا وَلا يَنْقَطِـعُ عَـدَدُهَا كَـأَتَمِّ مَـا مَضَى مِـنْ صَـلَوَاتِكَ عَلَـى أَحَـد مِـنْ أَوْلِيَآئِـكَ، إنَّـكَ الْمَنَّـانُ الْحَمِيـدُ الْمُبْـدِئُ الْمُعِيـدُ الفَعَّـالُ لِمَـا تُرِيْـدُ.

[الصحيفة السجادية – الدعاء ٢٧ (دعاء أهل الثغور)]

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطاهرين.

لقد ظل شبابنا المسلم بعيداً نوعاً ما عن المعارف القرآنية، بل وحتى البعض من شبابنا الجامعي والمتدينين كذلك، بل لعلنا نرى كثير من الجامعات التي تدرس العلوم الصرفة لا تحاول تغذية الطالب بالجانب القرآني، ولعل شيئاً من السبب يقع على نفس المعدّين للمناهج الإسلامية والشرعية، إذ قد تكون صعبة أو غير ممنهجة أولاً تنسجم مع المستوى العلمي الحقيقي لمرحلة الطالب، أو التطور العقلي عنده ولا تلبي الحاجة العلمية، أو لايتحقق الهدف المنشود من نفس المادة.

والتفسير من أهم العلوم الشرعية التي يجب على المسلمين معرفته والتقرب منه وتداوله يومياً، فضلاً عن طلاب العلوم الدينية الذين يمثلون أهل التخصص في هذا المجال أمام بقية الشرائح العلمية في المجتمع. ولقد لوحظ أنّ علم التفسير الواسع المتطور بحسب الزمن لا يمكن الألمام به بدون كتاب درسي ممنهج ومبسط نوعاً ما يمثل إجمالاً لما في عيبة هذا

العلم من معارف وعلوم. فبعد ملاحظة عدد من الكتب التي كانت تحمل نفس الهدف ـ أي التمهيد بحصر أفكار علم التفسير وعرضها باختصار ودرج أمّهات مسائل هذا العلم وتوضيح ملحقاته وتاريخه وأصوله وطرقه ـ ونراها بعد تعريف علم التفسير يشرع المؤلف فيها بتفسير سورة الحمد، ثمّ بعض السور الأخرى، ولا يذكر بقية شؤون علم التفسير، كالمصادر التي يأخذ منها هذا العلم وأدوات فهم النص القرآني.

إنّ أساس فكرة هذا الكتاب هي: أن يقدم ـ هذا المشروع للطالب ـ دروساً متسلسلة مختصرة تناسب طلاب المرحلة الأولى في الجامعات والمعاهد الإسلامية، يتم من خلالها تعريف الطالب بمحتويات علم التفسير سواء من التعريف والفائدة والحاجة والأساليب التفسيرية والمناهج والاتجاهات، والمدارس التفسيرية، ومصادر التفسير، وشروط المفسر، والعيوب التي يصاب بها التفسير غير الصحيح، فضلاً عن تاريخ التفسير والمدارس التفسيرية والتعريف بأهم التفاسير، كما يقدّم هذا الكتاب نماذجاً متنوعة من التفسير لبعض السور القصيرة وبمناهج مختلفة، قديمة وعصرية ومن المدرستين، كل ذلك وغيره ليعطي هذا الكتاب صورة حقيقة مجملة عن علم التفسير لدى الطالبين، مع بيان صورة عامة يصح أن يطلق عليها تمهيداً ومدخلاً من خلاله يتدرج الطالب إلى دروس التفسير وعلومه التخصصية.

إنّ هذا الكتاب أعدّ من خلال تجميع النصوص من الكتب التخصصية في علم التفسير، لذا لابد أن نذكر الأساتذة الكبار اللذين قدموا للقرآن الكثير من وقتهم ومن عمرهم بالشكر والامتنان، وإنّ أهم المصادر التي رجع إليها هذا المدخل هي:

١- التفسير والمفسرون للشيخ محمد هادي معرفة.

٢- كتاب أصول وقواعد التفسير للدكتور محمد علي الرضائي الأصفهاني.

٣- كتاب دروس في المناهج والاتجاهات للدكتور محمد علي الرضائي الأصفهاني.

٤- كتاب المفسرون للسيد علي إيازي.

٥- كما اعتمد الكتاب على برنامج جامع التفاسير وبرنامج مشكاة الأنوار.

٦- واقتبس من مجموعة من الكتب والمقالات لكثير من العلماء وللمؤلف.

ولا أنسى بالشكر جميع الأخوة الأعزاء لا سيما الأخ الشيخ حازم البصري وطلابي الكرام الذين ساهموا في رفد الكتاب ونقده وتصحيحه.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب محمد وعلى آله الطاهرين.

الدرس الأول : تعريف علم التفسير

أهداف الدرس

- عرض نماذج من التعاريف لعلم التفسير.
- بيان التعريف المختار.
- تعريف التأويل.
- بيان الفرق بين التفسير والتأويل.

المحتوى العلمي

لابد لكل بحث أو دراسة علمية من البدأ بالتعاريف اللازمة لكي تبسط محاور البحث ويحدد موضوع الدراسة ولكي لا تختلط المفاهيم والاصطلاحات، وعليه نبدأ بالتعريف لهذا العلم.

التفسير لغةً:

يقول ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه. من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه،

والفَسْر والتَّفسِرَة: نظَر الطَّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه[١].

يمكن الخلوص إلى نتيجة بسيطة، وهي أن هذه المادة (فسر) تدل على البيان والإيضاح لكُنهِ الشيء أو معناه، فالمراد منها الكشف عن المفهوم اللغوي أو المفهوم اللغوي المعقول كما عبّر بعضهم، كما أنّ مورد استعماله هو ما أبهم أو خفي أو ما أشكل ولا يختص ذلك بالكلمة الواحدة أو الجملة أو الجمل أو اللفظ.

التفسير اصطلاحاً

لقد ذكر علماء التفسير والمختصون بعلوم القرآن تعاريف كثيرة للتفسير تنوعت بين القديم والحديث وبين المختصر والمبسوط، وعليه يمكن تقسيم هذا العدد الكبير من التعاريف إلى مجموعات: إمّا بحسب القرون الزمنية أو بحسب المدارس الكلامية، أو بحسب الاتجاهات التفسيرية، أو بحسب مفاد التعريف أو اختصاره. ونحن سنختار من بين التعاريف نماذج من تلك المجموعات ثمّ ندرسها ونختار منها التعريف الأفضل.

١ـ الطبرسي: التفسير: كشف المراد من اللفظ المشكل[٢].

٢ـ السيد الخوئي: هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز[٣].

---

(١) أحمد بن فارس زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، مادة "فسر".

(٢) الطبرسي، مجمع البيان: ج١، ص١١٣.

(٣) الخوئي، البيان: ص٢٦٧.

٣ـ الدكتور رضائي: بيان المعنى الاستعمالي لآيات القرآن الكريم، وإيضاح المراد الجدي لها على أساس قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية، وذلك بالاستناد إلى المصادر والقرائن المعتبرة[١].

نقد التعاريف

ألف: الإشكالات المنهجية

أوّلاً: عدم تأسيس منهج لوضع التعريف الصحيح للتفسير، كما هو الملاحظ في تعريف الطباطبائي، التفسير: هو بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها[٢]. والبغوي: هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها»[٣].

ثانياً: عدم الإفصاح عن تبنّي منهج لاستخراج التعريف: فلم يعهد من أحدهم التصريح بأنّه كتب تعريفاً بناءً على المنهج الاستقرائي أو النقلي، أو حتى أنّه قلده وأخذه من غيره.

ثالثاً: لم يفرق العلماء بين عملية التفسير وبين علم التفسير في تعاريفهم: فالبعض أشار إلى أنّه عملية، كالخوئي، حيث قال: إنّ التفسير هو كشف القناع، كما قلنا فلا يكون منه حمل اللفظ على ظاهره؛ لأنّه ليس بمستور

(١) د. رضائي، مباني وقواعد التفسير: ص١٣.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسر القرآن، ج١، ص ٤.

(٣) البغوي، الحسين بن مسعود، تفسير البغوي(معالم التنزيل) ج١، ص٤٦.

حتى يكشف[١]. والبعض أشار إلى أنّه علم كأبي حيان، فقال: التفسيرُ علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآنِ، ومدلولاتِها، وأحكامِها الإفراديةِ والتركيبيةِ، ومعانيها التي تُحمَلُ عليها حالَ التركيبِ[٢].

باء: إشكالات جزئية أو فنية

أوّلاً: إدخال علم القراءات في علم التفسير، كما فعل أبو حيان (ت: ٧٤٥)، اذ قال: (التفسيرُ علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآنِ)[٣]، وهذا يعني أنّ هكذا تعريف ليس بمانع عن الأغيار؛ لأنّه يُدخل علمَ القراءات في علم التفسير كما صرح هو، فيقول: (يُبحثُ فيه عن كيفيةِ النطقِ بألفاظِ القرآنِ): هذا علمُ القراءاتِ[٤].

ثانياً: إدخال أدوات التفسير في تعريف علم التفسير، كما كتب الأستاذ بابائي: عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية[٥]، حيث جعل قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية من التعريف وهما من الأدوات التي تقوم عليها عملية التفسير، ولا يدخلان في

---

(١) الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٩.

(٢) الأندلسي أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، ج١: ص ٢٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) رجبي، محمود، روش تفسير قرآن، ص١٢.

حقيقة عملية التفسير، بل من شروط صحة نتائجها.

ثالثاً: ذكر الزركشي تعريفاً طويلاً جداً لم يعتمد فيه على التحقيق، بل على مشهور العلماء، قال: إنّ التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن[١]. وأدخل بعض الأمثلة في التعريف، فقال: "إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز مبيّن بشرح كقوله﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾"[٢]. وشمل أسباب النزول: "والتفسير أكثره في الجمل والتفسير إمّا في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلّا بمعرفتها كقوله﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾"[٣].

التعريف المختار: عبارة عن بيان المعنى الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها.

الفرق بين التفسير والتأويل

كان اصطلاح التأويل في العصور الأولى من تاريخ التفسير يستخدم بمعنى التفسير كما يمكن مشاهدة ذلك في كتاب جامع البيان لابن جرير الطبري، ولكن هذا الاصطلاح تغير في علوم القرآن في القرون التالية والحاضرة فصار له معنىً غير معنى التفسير.

أمّا التفسير في الاصطلاح: هو كشف الغوامض والأستار عن ظاهر

---

(١) الزركشي، محمد بن عبدالله، محمد بن عبدالله، البرهان، ج٢، ص١٤٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

القرآن بمعونة شرح الالفاظ والتفقّه في موارد اللغة واستنتاج المفاهيم والمعاني، خصوصاً بمراجعة المأثور من كلام المعصومين عليهم السلام على الأخصّ في مجال تمييز المتشابهات عن المحكمات، وبيان المراد منها.

أمّا التأويل فهو في الحقيقة: تطبيق المفاهيم والآيات في الخارج، أي تعيين المصاديق الخارجيّة لمعاني الآيات. فالتأويل الصحيح يترتّب من ناحية المعنى على التفسير الصحيح. ولا يخفى أنّ التأويل الصحيح لا مجال للوصول إليه إلّا من طريق الوحي وكلام المعصومين عليهم السلام. والتفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل: هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة.

خلاصة الدرس

١- التعريف اللغوي، التفسير هو: بيانُ شيءٍ وإيضاحِه.

٢- التعريف الاصطلاحي، التفسير هو: بيان المعنى الاستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدّي لله تعالى منها.

الأسئلة:

س١: ما هو التعريف اللغوي للتفسير؟

س٢: ما هو التعريف الاصطلاحي للتفسير؟

س٣: ما هو تعريف التأويل؟

س٤: ما هو الفرق بين التفسير والتأويل؟

الدرس الثاني: الحاجة إلى علم التفسير

أهداف الدرس

١. بيان أنواع أسباب الاحتياج إلى علم التفسير.
٢. بيان أسباب الاحتياج إلى علم التفسير.

المحتوى العلمي

وهنا نرى من اللازم دراسة أسباب وعوامل الحاجة إلى تفسير الكتاب العزيز. ونقسمها إلى أنواع وهي كما يلي:

ألف ـ الأسباب والعوامل عند المخاطبين:

١ـ ضعف المستوى العلمي لدى المخاطبين

تتفاوت مستويات المخاطبين من الجهة العلمية، فبعض الشخصيات كالنبي ﷺ، وأهل البيت عليهم السلام احتلوا أرقى مراتب العلم، ولأجل هذا هم لا يحتاجون إلى التفسير المتعارف.

وأما البعض الآخر من الذين يفتقرون إلى العلوم الضرورية والمقدمات اللازمة كالنحو والصرف واللغة وغيرها، فهم لا يتمكنون من فهم وإدراك بعض النصوص القرآنية.

وهـذا لا يختـص بالمخاطـب المعاصـر، وغيـر العربـي، بـل يتعـداه إلـى الصحابة في صدر الإسلام، فإن بعضهم كان يواجه مشكلة في فهـم الآيـات ايضا.

وللمثال نستشهد بما نقل عن أبي بكر عندما سئل عن معنى كلمة "أَبًّا"، فقال: أيُ سماء تظلني وأيّ أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[١].

وما نقل عن عمر بتعابير مختلفة في أنه قرأ على المنبر ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّـا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْبًا *وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[٢]، قال: كل هذا قد عرفناه فما الأبُّ؟، ثم نفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمـر الله هو التكلف[٣].

نعـم إنّ القـرآن مبـين ونـور سـاطع بـلا شـك، ولكننـا لا نمتلـك النظـرة الفاحصـة والعلـم الكـافي لفهمـه، فوجـدت الموانـع التـي تحجـب الرؤيـة الصحيحة عن هذا النور الإلهـي؛ ففـي الواقـع نحـن المحتـاجون إلـى تفسـير القرآن، والقرآن غني في نفسه عن التفسير.

فبالالتفات إلى ما تقدم يتضح لنا، أنّ حقيقة المخاطبين هي التي تحتاج إلى التفسير وليس القرآن، وأنّ حاجة الأشـخاص إلـى التفسـير ليسـت علـى حدٍّ سواء، بل إنّ البعض يحتاج إليه أكثر من الآخر.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، ج٤، ص ٧٠٤. الدر المنثور للسيوطي، ج ٦، ص ٣١٧.

(٢) عبس / ٢٧ ـ ٣١.

(٣) فتح الباري، العسقلاني، ج ١٣، ص ٢٨٥، الدر المنثور، السيوطي، ج٦، ص ٣١٧.

٢ـ الفاصلة الزمانية والمكانية بين نزول الآيات والمخاطبين.

المعروف أنّ لأسباب النزول ـ الخصوصيات الزمانية والمكانية المكتنفة لنزول الآية ـ تأثيراً بالغاً في استيعاب الآيات القرآنية، ولكن المخاطبين اليوم وبصورة أجمع لم يكونوا حاضرين في زمان ومكان نزول الآيات، مما يؤدي إلى بروز مشاكل تعترض عملية الفهم للآيات.

فعلى سبيل المثال، أن عدم الاطلاع الكافي على شأن النزول لجزءٍ من الآية الثالثة من سورة المائدة، يمكن أن يعرّض المخاطب للوقوع في فهم خاطئ، فينصرف ذهنه إلى أنّ يأس الكفار، وإكمال الدين، وإتمام النعمة، متعلقة بتحريم اللحوم المحرمة الوارد ذكره في الآية.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

في حين أنّ هذه الآية أبلغت للناس في غدير خم، مصاحبةً لإعلان ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام[1]، فشأن النزول يوضّح تفسير هذا المقطع من الآية ﴿وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾.

---

(١) راجع تفاسير القرآن، ذيل الآية ٣ من صورة المائدة، كتفسير نور الثقلين، والبرهان، والميزان، والأمثل، وكتاب الغدير للأميني، وغيره.

ومن جهة أخرى فإنّ الفاصلة الزمانية للمخاطبين في صدر الإسلام أصبحت سبباً للتلاعب بمفاهيم بعض المفردات على مر الزمان.

مثال: يرى الفخر الرازي أنّ الآية الكريمة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) تدل على سكون الأرض(٢)، في حين أنّ علوم الأرض والعلوم الكونية أثبتت حركة الأرض ودورانها.

ب ـ خصائص القرآن

القرآن الكريم ذلك الكتاب المحفوظ بين الدفتين، الحامل في ربوعه برنامجاً متكاملاً ينظم حياة البشرية إلى يوم القيامة.

ومن هنا برزت فيه خصائص جعلته يحتاج إلى التفسير ومنها:

١ـ المعارف الغزيرة في كلمات محدودة.

يشتمل القرآن على العقائد الحقة، والأخلاق، والأحكام، والقوانين العبادية والجزائية والمالية، والأسرية، وكذلك القصص والتاريخ، والمواعظ، والإشارات العلمية إلى الطبيعة والنجوم وغيرها، فجمعت هذه العلوم فيما يقارب ستمائة صفحة.

وكثيرٌ منها يحتاج إلى التوضيح والبيان.

---

(١) البقرة / ٢٢.

(٢) البقرة / ١٧٣، النحل / ١١٥.

٢ـ المضامين الرفيعة في ألفاظ اعتيادية.

خاطب القرآن الكريم عامة الناس بلغة العرب بأسلوب سلس، موضحاً لهم أرقى الاستدلال في الإلهيات وأهم الإشارات وأدق القوانين وأصح التواريخ، وأكبر الإعجازات العلمية، فصب أرقى المعاني بألفاظ بسيطة، مما جعل بعض هذه المعارف يحتاج إلى البيان والتفسير.

٣ـ بطون القرآن.

سلك القرآن الكريم مسلك البطون، حينما لم يكن بمقدور الألفاظ المعدودة استيعاب المعارف الغزيرة المحدودة.

فقد تكون الجملة الواحدة ذات المعنى الظاهري حاملة في طياتها ومستوياتها معان باطنية متعددة[١].

٤ـ المفردات الغريبة والمشكلة.

مثلما أنّ في اللغة العربية ألفاظاً سهلةً ومألوفة وألفاظاً غريبة، كذلك الحال في القرآن النازل باللغة العربية، فإنّه يحتوي على مفردات بسيطة ومألوفة وأخرى غريبة، والغريبة منها تحتاج إلى البيان والتفسير.

ولهذا السبب فقد أُلّفت كتب غريب ألفاظ القرآن ومشكله، وأمثالها.

٥ـ المفاهيم المتشابهة في القرآن

إنّ بيان المضامين الرفيعة والميتافيزيقية في إطار لفظي من شأنه أن

(١) سنبين مفصلاً المباحث المتعلقة ببطون القرآن لاحقاً.

يوضّح الأمور المادية وهذا يستلزم التشابه والإبهام.

فعلى سبيل المثال عندما نطلق صفة ﴿سَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] على الله (تبارك وتعالى)، فإن المتبادر إلى الذهن مفهوم الأذن والعين المتعارفتين؛ وذلك لأنّ هاتين المفردتين وضعتا المعنيين الماديين المعهودين، وفي قبال ذلك فإنّ السمع والبصر الإلهيين مجردين لا يمكن إدراك كنههما، إلّا أنّ يفسرا أو يؤوّلا.

ويمكن تطبيق هذه الفكرة على آيات أخرى نحو ﴿يَدُ اللَّهِ﴾[2]، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3]

﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾[4]، وغيرها.

٦ـ الأحكام العامة والمجملة في القرآن.

توجد أحكام وقوانين عامة ومجملة في القرآن، ولأجل معرفة تفاصيلها لابدّ من الرجوع إلى السنّة.

وقد بين القرآن عموم العبادات والمعاملات والقوانين الجزائية والإرث والزواج والطلاق وغيرها، فألقيت مسؤولية البيان على عاتق النبيﷺ، ومن بعده أهل بيته الكرام عليهم السلام[5].

---

(١) الإسراء / ١.

(٢) الفتح / ١٠.

(٣) القيامة / ٢٣.

(٤) الفجر / ٢٢.

(٥) تأمل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾، النحل / ٤٤. وكذلك حديث الثقلين.

ولا يمكن استيعاب الأحكام الجزئية والتفصيلية لهذه الموارد إلّا بتفسير الآيات اعتماداً على الروايات.

خلاصة الدرس

ألف ـ الأسباب والعوامل عند المخاطبين.

١ـ ضعف المستوى العلمي لدى المخاطبين.

٢ـ الفاصلة الزمانية والمكانية بين نزول الآيات والمخاطبين.

ب ـ خصائص القرآن.

١ـ المعارف الغزيرة في كلمات محدودة.

٢ـ المضامين الرفيعة في ألفاظ اعتيادية.

٣ـ بطون القرآن.

٤ـ المفردات الغريبة والمشكلة.

٥ـ المفاهيم المتشابهة في القرآن.

٦ـ الأحكام العامة والمجملة في القرآن.

الأسئلة:

س١: بين أنواع أسباب الاحتياج إلى علم التفسير.

س٢: بين أهم أسباب الاحتياج إلى علم التفسير.

الدرس الثالث: شروط المفسر

أهداف الدرس

١ ـ تعريف المفسر.

٢ ـ التعريف بشروط المفسر التي بها يكون التفسير صحيحاً.

المحتوى العلمي

تمهيد:

المفسر: هو الشخص الذي يسعى إلى استنباط معاني الآيات؛ وليتوصل إلى درك المراد الإلهي من النصوص القرآنية معتمداً في ذلك على المصادر والشواهد والقرائن المعتبرة والأسلوب الصحيح في التعامل معها.

وبناءً على هذا فإن المفسّر لا بدّ أن يكون ذو تخصّص كاف في العلوم، ولديه المعلومات اللازمة، ويمتلك روحية وأخلاق مناسبة حتى يتمكن من تقديم تفسير معتبر.

وإلّا سيكون تفسيره بالرأي أو يقدم تفسيراً غير معتبر، وقد توصل المحققون في العلوم القرآنية منذ القديم إلى ضرورة هذا الأمر وأحصوا

شروطاً لمفسر القرآن، ومن بينهم الشيخ الطوسي (م ٥٤٨ق). والمقصود من شروط المفسر هنا، أنها الشروط التي يجب توفرها في المفسر ليتمكن من فهم واستنباط مراد الله تبارك وتعالى من الآيات الكريمة والقدرة على توضيحه وبيانه، هو تحقق الحدّ الأقل من الشروط التي تمكّنه من تبيين المعاني والمراد الإلهي (التفسير الظاهري للآيات).

فقال السيوطي من شروط المفسر: اطلاعه على العلم باللغة والصرف والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان، والبديع، والقراءات وأصول الدين، وأصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث، وعلم الموهبة) (١).

تعداد شروط المفسر

١ـ الاطّلاع على اللغة العربية وآدابها (الصرف والنحو والمعاني و ...)؛ وسيأتي بيان ذلك في المصادر التفسيرية ودور العربية في التفسير.

٢ـ معرفة علوم القرآن؛ وبالخصوص مباحث المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وتاريخ القرآن والقراءات.

بالطبع أنّ لكل مبحث من هذه المباحث وبالخصوص القراءات تأثير في التفسير، كما له شروط خاصة ونكات لطيفة وسيأتي بيان ذلك في قسم مصادر التفسير ومبحث قواعد التفسير إن شاء الله المنان.

٣ـ المعلومات التاريخية والمكانية؛ لمعرفة أسباب النزول ومواضع نزول الآيات وتاريخ القرآن وتاريخ عرب الجاهلية وصدر الإسلام. والاطلاع

---

(١) أنظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٣٥٩ـ ٣٦١.

كذلك على الكتاب المقدس (التوراة، والإنجيل وملحقاتهما) ولكل مورد من هذه الموارد مصادر وشروط وضوابط سيتم بيانها في مبحث مصادر التفسير إن شاء الله.

٤ـ العلم بأصول الفقه: فهذا العلم يبين الضوابط والقواعد التي يتمكن بواسطتها الاستنباط من النص، من هنا استخدم في فهم النص القرآني والروائي، وبناءً على هذا فكما أنّ علم الفقه عدّ مقدمة لعلم التفسير فكذلك علم أصول الفقه.

بل لا يمكن فهم القرآن وتفسيره دون العلم بقواعد العام والخاص والمطلق والمقيد و... دراسة المباني المهمة مثل: حجية الظهور وغيرها من المطالب والأبحاث التي تطرح في علم أصول الفقه وسنبين الكثير من هذه القواعد في مبحث قواعد التفسير، إن شاء الله.

٥ ـ علم الفقه: حيث يتم بواسطة علم الفقه استنباط الأحكام الإلهية من مصادرها المعتبرة (القرآن، والسنة، والعقل).

إذ يحوي القرآن على عدد كبير من آيات الأحكام (قيل عددها يبلغ من ٥٠٠ إلى ألفي آية)[1] ولفهم هذه الآيات وتفسيرها نحن بحاجة إلى علم الفقه.

بالطبع ليس الاجتهاد المطلق شرطاً للتفسير، ولكن العلم بطريقة الاستنباط الفقهي على حد الاجتهاد المتجزئ ضروري للمفسر إلّا إذا لم يرد المفسر تقديم رأيه النهائي في خصوص آيات الأحكام ويكتفي بنقل

---

(١) أنظر: فقه القران، فاكر الميبدي، ص ٣٧.

أقوال المفسرين والفقهاء، ولعل هذا هو سبب حذف بعض المعاصرين هذا الشرط من شروط المفسر[١].

٦ـ معرفة علوم الحديث؛ تعد سنّة النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من مصادر التفسير، وظهر على مرور الزمن علوم ذات صلة وثيقة بالحديث مثل علم الرجال والدراية وفقه الحديث، والتي لها تأثير كبير في فهم وتقييم السنة، وبما أنّ السنّة مفسرة للقرآن، وهذه العلوم لها دور في فهمها وتفسيرها فصار العلم بها لازم على المفسر حتى يتمكن عند اللزوم من تقييم سند الحديث ومتنه.

٧ ـ معرفة المفسر بمصادر التفسير والقدرة على تقييمها علمياً بنحو يستطيع تشخيص المصدر المعتبر منها من غير المعتبر، (سنتناول هذه الموارد بصورة مفصلة في قسم مصادر التفسير).

٨ ـ معرفة مناهج تفسير القرآن؛ فلزاماً على المفسر حتى يقوم بالتفسير أن يعرف منهج تفسير القرآن بالقرآن، ومنهج التفسير الروائي والعقلي والعلمي والإشاري (الباطني) وغيرها.

وبعبارة أخرى: أن يعرف منهج التفسير الاجتهادي الجامع حتى يتمكن من الأساليب الصحيحة في التفسير ويبتعد عن الأساليب المؤدية في النهاية إلى التفسير بالرأي[٢].

٩ـ العلم بالأصول والفروض المبنائية المسبقة(الأصول الموضوعة) في التفسير، والالتفات إليها عند التفسير .

---

(١) أنظر: تفسير صحيح آيات مشكلة قران ـ التفسير الصحيح للآيات المشكلة للقرآن ـ السبحاني، ص٢٩٢.

(٢) للتعرف على مناهج التفسير راجع: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية ـ للمؤلف.

١٠ـ العلم بقواعد التفسير وتطبيقاتها فيه (سيأتي بحث قواعد التفسير في المباحث الآتية)، إذ إنّ عدم أخذ المباني وقواعد التفسير بنظر الاعتبار سيؤدي إلى عدم تحقق التفسير أو تقديم تفسير ناقص غير معتبر.

١١ــ الحياد العلمي، واجتناب الأحكام المسبقة والفرضيات غير الضرورية (اجتناب التفسير بالرأي):

على مفسر القرآن أن يتبع القرآن لا رأيه الشخصي الذي اختاره مسبقاً يعني على المفسر أن يأخذ عقائده من القرآن لا أن يقوم بتحميل القرآن معتقداته المسبقة بعنوان فرضيات ذهنية، حيث إنّه في هذه الصورة سيبتلي بالتفسير بالرأي الذي هو من الذنوب الكبيرة [(١)].

خلاصة الدرس

شروط المفسر عند السيوطي هي اطّلاعه على العلم باللغة والصرف والنحو، والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان، والبديع، والقراءات وأصول الدين، وأصول الفقه، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث، وعلم الموهبة.

الأسئلة:

س١: ما هو تعريف شروط المفسر؟

س٢: عدد شروط المفسر.

(١) نقل عن النبي وأهل البيت ﷺ أحاديث عديدة في المنع من التفسير بالرأي، راجع: سنن الترمذي، ج٥، ص ١٩٩، وبحار الأنوار، ج٨٩، ص١٠٧.

الدرس الرابع: فوائد تفسير القرآن

أهداف الدرس

١. التعرف على أهم فوائد علم التفسير.

المحتوى العلمي

إنّ من أهم الفوائد المرجوة من التفسير القرآني هي:

١ـ معرفة المراد الجدي بالتحديد والتشخيص.

يحكى عن حذيفة بن اليمان قوله في يوم الغدير قال النبيﷺ: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، ثم سأل شخص من الحاضرين: يا رسول الله: ما تأويل هذا الكلام؟

فأجابهﷺ: (من كنت نبيه فهذا علي أميره) [١].

٢ ـ توضيح الآية

ساهمت بعض الروايات في توضيح وشرح بعض الكلمات المبهمة

---

(١) بحار الأنوار، ج٣٧، ص ١٩٤.

والمجملة، وكشفت الغطاء عن الألفاظ الصعبة، وتُعد هذه الطريقة من أهم وظائف التفسير الاصطلاحي.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَي النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلاً﴾، [١] وهنا لم يتعيّن حد الاستطاعة في الحج الواجب، وقد ورد الحديث عن النبي ﷺ في أنّ المقصود من ذلك هو: «الزاد والراحلة». [٢]

٣ـ تخصيص عموم الآية بالرواية

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾[٣] فقد عيّنت هذه الآية سهم الذكور في الإرث، وهو ضعف سهم الإناث، وقد جاء تخصيص هذا الحكم في السنّة ليخرج القاتل والكافر، أيّ أنّ الشخص الذي يكون قاتلاً لأبيه أو كافراً لا يرث من أبيه المسلم. [٤]

٤ـ بيان الآيات الناسخة والمنسوخة في الأحاديث

وقعَ نسخ بعض آيات القرآن بآيات أُخرى؛ أيّ أن زمان الآية المنسوخة قد انتهى، وأنّه قد حلّ حكم الآية الناسخة محل المنسوخة، وقد ذُكِرت هذه الموارد في الأحاديث كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا

(١) آل عمران، ٩٧.

(٢) الاتقان، ج ٤، ص ٢١٨.

(٣) النساء، ١١.

(٤) الكافي، ج ٧، ص ١٤٠، ١٤٣ (باب ميراث القاتل وميراث أهل الملل).

مِنكُمْ فَـاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ﴾[1] قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ هذه الآية قد نُسخت بآية الجلد، وهي الآية الثانية من سورة النور، وحكم الرجم (الذي جاء في السنّة).[2]

٥ ـ توضيح شأن نزول الآيات

تعرّضت كثير من الأحاديث لبيان أسباب نزول الآيات؛ أيّ لبيان زمان ومكان نزول الآية، أو نوع الحادثة الّتي وقعت الآية في أثنائها أو بعدها، وهذا الأمر له تأثير مهم في توضيح مفاد الآية. وقد جمعت هذه الأحاديث في بعض التفاسير كتفسير البرهان، ونور الثقلين، والدر المنثور، وفي كتب أسباب النزول أيضاً.

٦ ـ رفع الاختلاف الظاهري بين الآيات

بعض آيات القرآن تبدو متعارضة فيما بينها، ولكن هذا التعارض سرعان ما يختفي بعد التأمل والتدقيق ومراجعة تفاسيرها. فعلي المفسّر مراجعة هذا النوع من الآيات وجمعها وتفسير أحدها بالأُخرى؛ لكي يرتفع التعارض الظاهري بينها.

مثال: ذكرَ القرآن الكريم مسألة تعرّض الكافرين للسؤال يوم القيامة فقال: ﴿وَلاَ يُسْـَلُ عَن ذُنُـوبِهِمُ الْمجْرِمُـونَ﴾[3] وقد جاء في مورد آخر

(١) النساء، ١٦.

(٢) تفسير العيّاشي، ج ١، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) القصص، ٧٨؛ ومشابه هذه الآية في الرحمن، ٣٩ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١) فالظاهر من الآيات التعارض فيما بينها، ولكن بعد التأمل فيها نفهم أنّ يوم القيامة له مواقف متعددة يتعرض الإنسان في بعضها إلى السؤال دون البعض الآخر، أو انّه لا يُسأل سؤالاً تحقيقياً وإنّما يسأل من أجل التوبيخ فقط؛ لأنّ الأُمور يوم القيامة ستكون واضحة.

وهذه المجموعة من الآيات تُشير إلى هاتين المسألتين فلا يوجد تناف بينهما.(٢)

٧ ـ إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة ومتشابهة كما سنوضح ذلك في بحث الأدلة على تفسير القرآن بالقرآن، وكما هو واضح في الآية السابعة من سورة آل عمران. وتعتبر الآيات المُحكَمة هي الأساس والمرجع للآيات القرآنية ولابد من إرجاع الآيات المتشابهة إليها لكي يتضح معناها، أو يتعيَّن أحد احتمالاتها.

مثال: توجد بعض الآيات في القرآن يدل ظاهرها علي التجسيم؛ مثل الآيات الّتي تصف الله سبحانه وتعالى بانّه ﴿سَمِيعٌ﴾ و﴿بَصِيرٌ﴾(٣) والآية الشريفة ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾،(٤) ولابد من إرجاع مثل هذهِ الآيات إلى

---

(١) الحجر، ٩٢؛ ومشابه تلك الآية: التكاثر، ٨؛ الصافات، ٢٤.

(٢) تفسير نمونه: ج ١٦، ص ١٦١، (وجّه بعض المفسرين هذهِ الآيات توجيهات أُخرى).

(٣) الشورى، ١١.

(٤) الفتح، ١٠.

الآيات المحكمة مثل الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. [(١)]

حيث يتضح معناها في ضوء هذهِ الآيات، فعندما نقارن الآيات المذكورة مع الآيات المحكمة، فسوف يتبيّن أنّ المقصود باليد هنا ليست هي اليد الجسمانية، بل هي شيء آخر كالقدرة مثلاً. وعلى هذا يمكن تفسير معنى الآية [يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] بمعنى قدرة الله.

خلاصة الدرس

١ـ معرفة المراد الجدي بالتحديد وبالتشخيص.
٢ ـ توضيح الآية.
٣ ـ تخصيص عموم الآية بالرواية.
٤ ـ بيان الآيات الناسخة والمنسوخة في الأحاديث.
٥ ـ توضيح شأن نزول الآيات.
٦ ـ رفع الاختلاف الظاهري بين الآيات المختلفة.
٧ ـ إرجاع المتشابهات إلى المحكمات.

الأسئلة:

س١: أذكر مثالاً على تخصيص العموم بالرواية.
س٢: اضرب مثالاً على رفع الاختلاف الظاهري.
س٣: وضح بالمثال كيفية رفع التشابه بالمحكمات.

---

(١) الشورى، ١١.

الدرس الخامس: تاريخ التفسير (١)

أهداف الدرس

١ ـ التعرف على فائدة الاطلاع على تاريخ التفسير.

٢ ـ التعريف على التسلسل التاريخي للتفسير.

المحتوى العلمي

الفوائد المتوخاة من التعرف على تاريخ التفسير.

١ ـ التعرف على مراحل تطور هذا العلم والتحولات التي مر بها منذ بدايته حتى اليوم.

٢ ـ التعرف على المذاهب الاسلامية ومذاهب المفسرين ورؤاهم العقائدية والكلامية.

٣ ـ التعرف على مناهج التفسير المختلفة.

التسلسل التاريخي لتفسير القرآن الكريم وتطوره

أوّلاً: التّفيسر في عصر الرّسالة[1]:

كان النّاس في صدر الإسلام يقصدون النّبيّ ﷺ من أجل التّنوّر بتعاليم

---

(١) لقد تم اقتباس وتلخيص هذا المبحث من كتاب تاريخ التفسير والمفسرون لأستاذي الشيخ الدكتور علوي مهر حفظه الله.

القرآن الكريم ومعرفة مفاهيمه وأحكامه، وكان ﷺ هو المفسّر الأوّل للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وهذه المهمّة أو كَلت إلى النّبيّ ﷺ ومن بعده إلى أهل بيته عليهم السلام ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾. الأنبياء.

للرّسول ﷺ مدرستان تفسيريّتان (أسلوبان في التّفسير):

١ ـ مدرسة طريقتها عموميّة (الأسلوب العام)، يعلِّم النّاس معاني القرآن وأحكامه وذلك عن طريقين هما:

أ) المحاورة: وذلك ببيان واضح.

ب) السّيرة: وذلك من خلال التّجسيد العملي لمصطحات القرآن ومفاهيمه أمام النّاس، كقوله ﷺ «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

٢ ـ مدرسة طريقتها خصوصيّة (الأسلوب الخاصّ)، إضافة إلى ما يمارسه ﷺ من أسلوبه العام فإنّ له أسلوباً خاصّاً في التّربيّة والتّعليم، وهذا الأسلوب كذلك له صورتان:

أ) إعداد النّخبة: كان ﷺ عندما تنزل الآيات يقوم ـ مضافاً إلى تعليمها للنّاس ـ بدعوة عدد من خواص أصحابه مثل: إبن مسعود وأُبيّ بن كعب. . . ويعلّمهم تفسيرها ومعانيها وأحكامها. . .[1].

---

(١) نقل الطبري في تفسيره عن إبن مسعود أنّه قال: عندما كان أحدنا يتعلّم عشرة آيات لا يذهب لطلب تعلّم غيرها حتّى يعمل بما تعلّمه من معانيها بشكل كامل.

ب) تربيّة الأخصّ من النّخبة: وهذا الأخصّ هو الإمام عليّ عليه السلام، وكان النّبيّ يولي اهتماماً خاصًا وفريداً به قبل كلّ أحد، وقد ربّاه على تفسير القرآن بشكل مخصوص. قال عليه السلام: (و الله ما نزلت آية إلاّ وقد علمتُ فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلِقاً سؤولاً).

ثانياً: التفسير في عصر الصحابة

ومن أشهر المفسرين الصحابة هو الإمام علي عليه السلام وابن عباس.

ـ خصوصيّات تفسير الصّحابة:

١ ـ لم يفسّروا كلّ القرآن.

٢ ـ البساطة وعدم التعمق.

٣ ـ عدم وجود الاختلافات الفقهيّة.

١- التّنزّه عن التّفسير بالرّأي.

ثالثاً: التّفسير في عصر التّابعين:

يُطلق لقب التّابعي على الأشخاص الّذين عاصروا الصّحابة وكانوا على الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وقد ماتوا على ذلك[1].

ومن أشهر مفسّري مدرسة مكّة من التابعين: سعيد بن جُبَيْر: تلميذ ابن عبّاس، ومجاهد من أوثق تلامذة ابن عبّاس.

---

(١) الدّراية في علم مصطلح الحديث للشّهيد الثّاني: ١٢٠ـ١٢٢.

خصوصيّات تفسير التّابعين:

١ ـ ظهور التّنوّع والإختلاف في التّفسير، عقليّاً، عرفانيّاً، كلاميّاً. . .

٢ ـ الاعتماد على الاجتهاد والتّوسّع فيه.

٣ ـ الاعتماد على الظّنّ.

٤ ـ زيادة الرّوايات الإسرائيلية وذلك لدخول أهل الكتاب في الإسلام.

رابعاً: دور أهل البيت عليهم السلام في التّفسير:

أمّا تعبير "أهل البيت" بعنوان مفهوم قرآني جاء في آية ٣٣ من سورة الأحزاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فهنا ما يزيد على سبعين رواية تصرّح بأنّها نزلت في الرّسول صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ـ سعة علم الأئمّة بالقرآن:

١ ـ قال الإمام الباقر عليه السلام: (نحن خزّان علم الله ونحن تراجمة وحي الله)[١].

٢– قال الإمام الحسين عليه السلام: (نحن الّذين عندنا علم الكتاب. . .)[٢].

ومن المعارف التي كانت وما زالت عند أهل البيت عليهم السلام:

أ) العلوم الغيبيّة: قال الإمام الباقر عليه السلام: (تفسير القرآن على سبعة أوجه منه ما كان ومنه ما لم يكن بعد تعرفُه الأئمّة).

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٠: ٢٣.

(٢) أهل البيت في الكتاب والسنة لري شهري: ١: ٢٥٣.

ب) شرح وتفصيل الأحكام: وهذا العلم مأخوذ من الآباء والأجداد، وكان لعليّ عليه السلام كتاب الجامعة من إملاء الرّسول صلى الله عليه وآله فيه تمام جزئيّات أحكام الحلال والحرام وقد توارثه الأئمة عليهم السلام.

ج) العلم بظاهر القرآن وباطنه: راجع رواية ابن مسعود في علم عليّ عليه السلام.

ـ حجيّة قول أهل البيت في التّفسير:

أُستُدلّ على حجيّتهم التّفسيريّة وغير ذلك من خلال حديث الثّقلين الّذي نُقل بالتّواتر. كما استدلّ على ذلك أيضاً بالجمع بين الآيتين التّطهير وقوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ الواقعة).

دور أهل البيت في تفسير القرآن:

١ ـ دور الهداية والتّربيّة.

٢ ـ إعداد المفسّرين.

٣ ـ بيان أسس وأصول الهداية.

٤ ـ مواجهة الآراء المنحرفة.

أساليب أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الآراء المنحرفة:

أ) تشخيص أصحاب الفكر المنحرف مثل اليهودي كعب الأحبار.

ب) الذّمّ والتّوبيخ للأفكار الخارجة عن الإسلام والّتي تهدف إلى هدمه.

٣) طرح الموضوعات الصّحيحة إزاء التّصوّرات الباطلة، كخلق أُمّنا حواء من بقيّة طين آدم عليه السلام.

خامساً: التّفسير في القرن الثالث الهجري:

أي من عام ٢٠٠ تقريبا إلى عام ٣٠٠ للهجرة النبوية، مع استثناء الكلام عن التفسير عند أهل البيت عليهم السلام، وذلك لخصوصيتهم ولأننا خصصناهم بالذكر دون غيرهم.

خصوصيّات التّفسير في هذا القرن:

١ ـ دُوّن علم التّفسير تحت عنوان مستقل به.

٢ ـ كُتِب التّفسير بأساليب مختلفة وميول متعدّدة، منها: الرّوائي، الأدبي، العرفاني، اللّغوي. . .

٣ ـ انتشرت روايات الأئمّة والصّحابة والتّابعين في المدن المختلفة.

ـ من أهمّ تفاسير في هذا القرن:

ذكروا لهذا القرن ما يقارب سبعين تفسيراً ومفسّراً، نذكر أهمّها:

ـ الرّوائي: "تفسير المصباح للإسفرايني".

ـ الفقهي: "أحكام القرآن للشّافعي".

ـ الأدبي: "معاني القرآن" للفراء.

خلاصة الدرس

أولاً: الفوائد المتوخاة من التعرف على تاريخ التفسير.

١ـ التعرف على مراحل تطور هذا العلم والتحولات التي مر بها منذ بدايته حتى اليوم.

٢ـ التعرف على المذاهب الإسلامية ومذاهب المفسرين وآراؤهم العقائدية والكلامية.

٢- التعرف على مناهج التفسير المختلفة.

ثانياً: تنقسم الدورات التاريخية للتفسير إلى حقب وقرون: وهي التفسير في عهد الصحابة ثم التابعين، ثمّ عصر الصحابة، ثم التابعين، ثم دور أهل البيتعليهم السلام في التفسير، ثمّ بحسب القرون، وقد ذكر في هذا الدرس القرن الثالث الهجري فقط.

الأسئلة:

س١: ما هي الفوائد المتوخاة من التعرف على تاريخ التفسير؟

س٢: اشرح دور عصر الرسالة من حيث التفسير وخصوصياته.

الدرس السادس : تاريخ التفسير (٢)

أهداف الدرس

التعريف على بقية الدورات التاريخية للتفسير.

المحتوى العلمي

بقي علينا في هذا الدرس أن نكمل بقية الأدوار التاريخية للتفسير بحسب القرون الهجرية.

سادساً: التّفسير في القرن الرابع الهجري:

أي من عام ٣٠٠ تقريبا إلى عام ٤٠٠ للهجرة النبوية. وقد اشتمل هذا القرن على أحداث تاريخية مميزة، أهم خصوصيّات هذا القرن؟

١ـ ارتفاع الصّراعات السّياسيّة والاجتماعية إلى حدّ كبير.

٢ـ نفوذ التّشيّع في كلّ نقاط العالم الإسلامي.

٣ـ أسّست المكتبات والمراكز العلميّة مثل "الأزهر" في مصر.

من أهمّ تفاسير في هذا القرن:

١ـ عند الشّيعة: "تفسير القمّي: لإبراهيم القمّي". ومنهجه (رّوائي محض).

٢ـ عند السّنّة: "جامع البيان: لإبن جرير الطّبري".

سابعاً: التّفسير في القرن الخامس الهجري

أي من عام ٤٠٠ تقريباً إلى عام ٥٠٠ للهجرة النبوية. وقد اشتمل هذا القرن على أحداث تاريخية مميزة، أهم خصوصيّات هذا القرن:

١ـ السّياسيّة: المواجهات، واشتعال الحروب المدمّرة.

٢ـ الثّقافيّة: حصل تقدّم علمي، وتوسع في جميع العلوم، كما حصل تطور في التأليف وانتشار الآثار الإسلامية القيمة، مع ظهور علماء كبار مثل الشيخ الطوسي في عالم التشيع، والحاكم النيشابوري في عالم السنة.

ـ من أهمّ تفاسير هذا القرن:

١ـ عند الشّيعة: "تفسير التّبيان للشّيخ الطّوسي". منهجه (إجتهادي) واتّجاهه (كلامي). اشتمل على مقدّمة واسعة تضمّ نكات قيّمة جداً منها:

أ ـ حرمة التّفسير بالرّأي.

ب ـ التّمسّك بالقرآن والعترة في كلّ عصر.

ح ـ النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه و.

٢ـ عند السّنّة: "الكشف والبيان: للثّعلبي". منهجه (روائي ـ تحليلي).

ـ النّكات العلميّة:

أـ اعتمد المنهج الرّوائي في تفسير القرآن الكريم.

ب ـ اهتمّ بالنّكات الأدبيّة واللّغويّة وتابع في البحث عن أصلها وتصدّى لمناقشتها.

ج ـ نقل فضائل أهل البيت عليهم السلام في المواضع المتعلّقة بهم ويرجّح في بعض المواقع الرّأي الموافق لأهل البيت عليهم السلام.

ثامناً: التفسير في القرن السادس الهجري:

ـ خصوصيّات القرن:

١ـ ذكر في هذا القرن حدود تسعين من أسماء التّفاسير والمفسّرين.

٢ـ كُتِبت في هذا القرن تفاسير اجتهاديّة جامعة قلّ نظيرها كمجمع البيان والكشّاف.

٣ـ ظهور التّفاسير باللّغة الفارسيّة مثل: "كشف الأسرار: للميبدي".

ـ من أهمّ تفاسير هذا القرن:

١ـ عند الشيعة: "مجمع البيان: للطّبرسي".

ـ أسلوبه في التّفسير: النّظم في رعاية المواضيع في بداية كلّ سورة مكّيّة كانت أو مدنيّة، ضبط تعداد آيات السّور وذكر الأقوال المختلفة، بيان فضيلة كلّ سورة، القراءات والاختلاف فيها، الحجّة، الإعراب، سبب النّزول إن وجد، المعنى في تفسير الآية وطرح الآراء المذكورة حولها.

٢ـ عند السّنّة: "الكشّاف للزّمخشري". منهجه (أدبي ـ بياني ـ كلامي).

مميزاته:

١ـ خلوّه من الحشو والزّيادة والإضافة.

٢ـ سلامته من القصص الإسرائيليّات إلاّ في بعض المواضع كقصّة داود وسليمان عليهما السلام وكأنّه مارس تقويمها.

٣ـ اهتمامه الفائق باللّغة العربيّة الأصليّة في مجال المعاني والبيان.

تاسعاً: التفسير في القرون (السابع والثامن والتاسع) الهجري:

ـ خصوصيّات التّفسير والثّقافة في هذه القرون:

١ـ مداومة التّحليل والاجتهاد في التّفسير مثل: "التّفسير الكبير للرّازي" و"الجامع لأحكام القرآن للقرطبي".

٢ـ لم تؤلّف تّفاسير في الوسط الشّيعي إلاّ القليل حتّى أُطلِق على هذه القرون ـ نوعاً ما ـ بعصر أفول التفاسير عند الشّيعة.

٣ـ مداومة تأليف التّفاسير المتنوّعة في الاتجاهات (كلامي، أدبي، عرفاني، فقهي. .).

ـ من أهمّ تفاسير هذه القرون:

١ـ عند الشّيعة: "المحيط الأعظم للسّيّد حيدر آملي". اتّجاهه (عرفاني ـ صوفي).

هذا التّفسير يشتمل على سورة الحمد وقسماً من سورة البقرة، وهو في الحقيقة تفسير موضوعيّ.

٢ـ عند السّنّة: "التّفسير الكبير(مفاتيح الغيب) للفخر الرّازي". منهجه (إجتهادي وعقلي) واتّجاهه (كلامي وفلسفي).

ـ الرّازي وأهل البيت عليهم السلام:

لقد سبق كثيراً من مفسّري أهل السّنّة في قضيّة بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام، وعندما يذكر اسم الإمام علي وسائر الأئمّة عليهم السلام يذكرهم باحترام، ويعتبر الصّلاة عليهم من الأدعية، وذكر ليلة المبيت، وفي سورة الإنسان، ذكر الرّوايات المتعلّقة بمرض الحسنين عليهما السلام وإطعام عليّ عليه السلام المسكين واليتيم والأسير، وهكذا طرح قضيّة محبّة أهل البيت عليهم السلام في ذيل آية المودّة كما نَقل عن الزّمخشري حديث "من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً... ".

عاشراً: التفسير في القرون (العاشر والحادي عشر والثاني عشر) الهجري:

ـ النّكات المشتركة بين هذه القرون الثلاثة:

١ـ توسّع وتفشّي النّزعة الإخباريّة، فأُلِّفت فيها تفاسير روائية محضة مثل: "البرهان للبحراني" في أوساط الشّيعة و"الدّرّ المنثور للسّيوطي" في أوساط السّنّة.

٢ـ وجود تأليفات في آيات الأحكام مثل: "زبدة البيان في آيات الأحكام للمقدّس الأردبيلي" وكان لتشكيل الحكومة الصّفويّة الشيعية الدّور الفاعل في تنمية هذا الإتّجاه.

٣ـ صار الإتّجاه الغالب في هذه القرون – خصوصاً العاشر والحادي عشر كتابة الحواشي والتّعليقات وقد ذُكِرت حدود ٥٠ حاشية على تفسير البيضاوي، كما وجدت حواشي على الكشّاف.

ـ من أهمّ تفاسير هذه القرون:

١ـ عند الشّيعة: "تفسير الصّافي: للفيض الكاشاني".

٢ـ عند السّنّة: "الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور للسّيوطي".

يقوم جلال الدّين بذكر الرّوايات في ذيل كلّ آية، ولم يتعرّض إلى التّحقيق فيها، بل ينقلها بلا إشارة إلى صحّتها أو سقمها، ولذا نشاهد في تفسيره الرّوايات الإسرائيليّة والمجهولة أيضاً.

أحد عشر: التفسير في القرن (الثالث عشر) الهجري:

ـ علّة ركود التّفاسير في هذا القرن:

كان ـ في القرون الثّلاثة الماضيّة ـ المنهج الرّوائي هو المنهج الطّاغي على بقيّة المناهج كلِّها ولم يبق للتّحليل إلاّ النّزر القليل.

ولعلّ أهمّ العلل لهذا الرّكود هي انشغال العلماء في المواجهة العلميّة بين النّزعة الإخباريّة والاجتهاديّة في الفقه والفقاهة، وكذا تربيّة الفقهاء الكبار مثل صاحب الجواهر والشّيخ الأنصاري و...

ـ من أهمّ تفاسير هذا القرن:

١ـ عند الشّيعة: "الوجيز في تفسير القرآن الكريم (المعروف بتفسير شُبّر) لعبد الله شبّر".

٢ـ عند السّنّة: "روح المعاني للآلوسي".

استفاد كثيراً من التفسير الكبير للرّازي، وكونه حنفيّاً متعصّبا جعله يوجّه في تفسيره التّهم للشّيعة، وقد بحث المسائل الكلاميّة والفقهيّة بصورة موسّعة أيضاً.

اثنى عشر: التفسير في القر ن (الرابع عشر) الهجري:

(عصر الازدهار وأفضل التّفاسير)

ـ مفهوم "التّفسير العصري":

ـ قال آية الله معرفة: "إنّ التّفسيرالعصري هو طرح مفاهيم القرآن بالصّورة الحديثة الّتي تتناسب مع متطلّبات اليوم والكشف عن الحقائق القرآنيّة الجديدة"[1].

ـ من أهمّ الخصوصيّات التّفسيريّة للعصر الحاضر:

١ـ عصر النّهضة العلميّة الجديدة.

٢ـ التّغطيّة الأدبيّة والاجتماعيّة للبحوث التّفسيريّة.

٣ـ إيمان العلماء وأصحاب الرّأي أنّ القرآن قادر على الإجابة العلميّة لكلّ متطلّبات البشر في كلّ عصر وزمان.

خلاصة الدرس

لقد ذكر الدرس مراحل تطور التفسير من القرن السادس الهجري إلى

(١) التّفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب: ٢: ٤٤٠.

العصر الحاضر، وأشار إلى أسماء بعض التفاسير وخصوصياتها ومميزات بعض القرون وأسباب تطور أو تراجع التفسير أحياناً.

الأسئلة:

س١: أذكر خصوصيات التفسير في القرن الرابع وأهم التفاسير فيه.
س٢: أذكر خصوصيات التفسير في القرن الثاني عشر وأهم التفاسير فيه.
س٣: أذكر خصوصيات التفسير في القرن السادس وأهم التفاسير فيه.

الدرس السابع : المدارس التفسيرية

أهداف الدرس

١ـ التعرف على فوائد معرفة المدارس التفسيرية.

٢ـ معرفة أهم المدارس التفسيرية.

المحتوى العلمي

تُطلَقُ المَدرَسَةُ ويُرادُ بِها لُغةً: مكانُ الدَّرس والتعليمِ. ثُمَّ تُوُسِّعَ في معناها حديثاً، فصار يُرادُ بِها في عُرف الاستعمال: (جماعةٌ من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين، تعتنقُ مذهباً مُعَيَّناً، أو تقولُ برأيٍ مُشتَرَك. ويُقالُ هو من مدرسة فلانٍ: على رأيِهِ ومذْهَبِه.

الفوائد المتوخاة من التعرف على المدارس التفسيرية

إنّ الفوائد المرجوة من التعرف على المدارس التفسيرية والاطلاع عليها هي:

١ـ التعرف على مراحل تطور هذا العلم والتحولات التي مر بها منذ بدايته حتى وقتنا الحاضر.

٢ـ التعرف على المذاهب الإسلامية ومذاهب المفسرين ورؤاهم العقائدية والكلامية.

٣ـ التعرف على مناهج التفسير المختلفة، وأساليب دخول وخروج المفسر، أو أسلوب فهم القرآن واستنباط مفاهيمه، وإتاحة الفرصة أمام القارئ لأفضل السبل لتلك المناهج والأساليب.

٤ـ يهيئ أرضية تحليل التفاسير والموازنة بينها، لوضوح ارتباط المفسر الوثيق باتجاهه العقائدي والفكري، وانعكاس وجهته المذهبية على التفسير.

حُصرت المدارس التفسيرية بثلاث مدارس، هي:

الأولى: مدرسة ابن عباس بِمَكّة، وأشهر تلاميذها سعيد بن جبير، ومجاهد.

الثانية: مدرسةُ أُبَيّ بن كعبٍ بالمدينة، وأشهر تلاميذها أبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم.

الثالثة: مدرسةُ ابن مسعود في العراق، وأشهر تلاميذها علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع والحسن البصري.

وهناك من قسمها بلحاظ المذهب العقائدي والمدرسة الكلامية، ففي التفسير يتأثر المفسر بعقائده بالتالي كان المسلمون بحسب مدارسهم الكلامية، وهي كما يلي:

١. مدرسة المعتزلة

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء (٨٠ ـ ١٣١هـ)، ومن أهم الشخصيات

البارزة في هذه المدرسة هم: عمرو بن عبيد (ت ١٤٣هـ)، ابو الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ)، إبراهيم النظام (ت ٢٣١هـ)، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

يعتقد المعتزلة أنّ الإنسان حر ومختار، وأنّ القرآن يمكن تفسيره عن طريق العقل، وأنّه يمكن إدراك كثير من الحقائق بواسطة العقل (دون هداية الشرع)، وفي حالة تعارض الحديث مع العقل فإنّهم يقدّمون العقل، وكذلك يعتقدون أنّ الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر ـ المنزلة بين المنزلتين ـ وأنّه لا يمكن للإنسان الحصول على المغفرة دون توبة.

وكذلك يعتقدون بالتوحيد الصفاتي، وينكرون التوحيد الأفعالي فهم من العدلية، حيث يعتقدون بعدالة الله وأنّ أفعاله لها غاية وهدف، وكلامه مخلوق، ويحصرون القدم بالله سبحانه وتعالى.[1] وذهب الدكتور الذهبي إلى أنّ أصول المعتزلة خمسة: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[2] ثم انتقدهم وانتقد تفاسيرهم بشدة.[3]

وقد استمرت عقائد المعتزلة في الازدهار إلى زمن المتوكل، حيث

(١) أنظر: الشهيد المطهري، آشنائى باعلوم اسلامى، مجلد الكلام والعرفان، ص ٢٧ ـ ٤٢.

(٢) الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨٥.

نُكِّل بهم في زمانه بشدة، ثم انتشر المذهب الأشعري من ذلك الزمان.[١]

ومن أهم التفاسير الكلامية للمعتزلة هي:

١ / ١. متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥هـ)، وهو شافعي المذهب فقهياً، وفي الكلام معتزلياً.

٢ / ١. تنزيه القرآن عن المطاعن، عبد الجبار المعتزلي.

٣ / ١. الكشّاف، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) وقد تعرض إلى المسائل الأدبية واللغوية أيضاً.

٤ / ١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي (ت ٦٨٥هـ)، وقد كتب هذا التفسير بالاعتماد علي تفسير الكشّاف للزمخشري، والمشهور أنّ البيضاوي أشعريٌّ المذهب، ولكن بعض المحققين يعتقدون انّه معتزلي؛ لأنّه اعطى أهمية كبيرة للعقل والعدل في تفسيره.[٢]

٥ / ١. جامع التأويل لمحكم التنزيل، أبو مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢هـ)، ولا يوجد أصل هذا التفسير، ولكن الفخر الرازي نقل عنه في تفسيره، وكذلك الطبرسي في مجمع البيان، وقد طُبعت آراء أبي مسلم الأصفهاني التفسيرية في مصر[٣] وإيران بصورة مستقلة، ويتميز أبو مسلم بمنهجه العقلي في التفسير.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الطالقاني، تاريخ تفسير، ص ٢٥٨.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٣٠.

(٣) الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٣٨٩.

٦ / ١. وهناك تفاسير أُخري للمعتزلة ليست في متناول اليد الآن، مثل: تفسير أبي بكر عبد الرحمن بن كيان الأصم (ت ٢٤٠هـ)، محمد بن عبد الوهاب بن سلام (أبو علي الجبائي ت ٣٠٣هـ)، تفسير الكعبي المعتزلي (ت ٣١٩هـ)، تفسير أبي الحسن علي بن عيسي الرماني (ت ٣٨٤هـ). [١] وهناك تفسير كبير لعبد السلام بن محمد بن يوسف (ت ٤٨٣هـ) شيخ المعتزلة. [٢]

٢. المدرسة الأشعرية

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ تقريباً)، ومن أهم الشخصيات البارزة عندهم: القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، أبو اسحاق الأسفرايني، إمام الحرمين الجويني، الإمام محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، والإمام الفخر الرازي.

الأشاعرة لا يعتقدون بحرية واختيار الإنسان، ويقولون بأنّ أعماله مخلوقة من قبل الله سبحانه وتعالى، ولا يذهبون إلى أنّ الإنسان خالقاً لأفعاله، بل يقولون بالكسب، ولا يعتقدون بالحسن والقبح الذاتي للأفعال، بل أنّ الحسن والقبح عندهم هو ما حسّنه أو قبّحه الشارع، وكذلك يعتقدون بأنّ العدل شرعي وليس عقلياً ! ولهذا السبب اعتُبروا من منكري العدل، ويذهبون إلى أنّ الإنسان الفاسق يعتبر مؤمناً، وأنّ المغفرة يمكن أنّ تشمل العصاة دون توبة، ويعتقدون بالشفاعة ويرفضون التوحيد الصفاتي،

---

(١) الذهبي، التفسير والمفسّرون، ج ١، ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٢) السيوطي، طبقات المفسرين، ص ١٩.

ويؤكدون علي التوحيد الأفعالي، وأنّ القضاء والقدر الالهي يعم ويشمل جميع الحوادث، وأنّ الشر والخير من الله سبحانه وتعالى، وكلام الله قديم ـ الكلام النفسي وليس الكلام اللفظي ـ وأنّ أفعال الله ليست معللة وليست لها غاية، وأنّ الله سوف يُرى يوم القيامة بالعين المادية، وأنّ العالَم حادث زماني، وانّه يجوز التكليف بما لا يطاق. [1] إنّ منهج الأشاعرة في التفسير هو الاهتمام بظواهر الآيات والاجتناب عن العقل في التفسير. ومن أهم التفاسير الكلامية المدونة للأشاعرة هي:

١ / ٢. تأويلات القرآن، أبو منصور محمود الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، فهو في الفقه من اتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

٢ / ٢. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور محمود الماتريدي.

٣ / ٢. مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، عبد الله بن أحمد بن محمود بن محمد النسفي (القرن السابع). وقد دوّن هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشاف، والنسفي من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

٤ / ٢. بيان المعاني، عبد القادر الملاّ حويش آل غاري، حنفي المذهب، ومن اتباع المذهب الأشعري في الكلام.

---

(١) الشهيد المطهري، آشنائى باعلوم اسلامى، مجلد الكلام والعرفان، ص ٢٧ ـ ٥٠.

٥ / ٢. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفخر الرازي (ت ٦٠٢هـ) [(١)]

ويطلق عليه إمام المشككين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية حتى قيل في تفسيره: فيه كلّ شيء إلّا التفسير.

وهناك من قال بأنه يميل إلى مذهب الشيعة، ورغم كونه أشعري في الكلام، ولكنّه قد يتكلم خلاف العقيدة الأشعرية في بعض الأحيان. [(٢)]

٣. المدرسة الشيعية

الشيعة هم اتباع الأئمة الاثني عشر، من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام)، وقد استفاد الشيعة من أئمة أهل البيت عليهم السلام في القرون الثلاثة الأولى، وأخذوا عنهم أهم المسائل الكلامية، وقد نضج المذهب الكلامي للشيعة بعد غيبة إمام العصر عليه السلام سنة (٣٢٩هـ)، بواسطة علماء الشيعة الكبار أمثال: الشيخ المفيد، والمرتضى، والشيخ الطوسي، والخواجة نصير الدين الطوسي، و...

تعتقد الشيعة بالتوحيد الصفاتي والأفعالي، والعدل الإلهي وقد أعطوا أهمية لكل من العقل والنقل، وذهبوا إلى أنّ الإنسان حرّ في أفعاله ـ ليس بصورة مطلقة ولكن أمر بين أمرين ـ وينكرون التكليف بما لا يطاق، ويعتقدون بأنّ الله لا يُري بالعين المادّية لا بالدنيا ولا بالآخرة. ومن أهم المسائل الكلامية للشيعة هو الاعتقاد بإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام، والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

---

(١) وهناك من قال ان سنة وفاته (٦٠٦هـ)، أنظر: التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١٤، ٤١٥.

وأمّا الاتجاه التفسيري للشيعة فهو الالتفات إلى كل من الظاهر والباطن للقرآن، ومن أهم التفاسير الكلامية للشيعة هي:

١ غرر الفوائد ودرر القلائد (أمالي السيد المرتضى)، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، والذي جمع بين الظاهر والباطن.

٢ تفسير التبيان، الشيخ أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

٣ تفسير مجمع البيان، أبو علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) رغم كون التفسيران المذكوران من التفاسير الجامعة ولكنهما كثيراً ما تهتمان بالمباحث الكلامية.

٤ متشابه القرآن ومختلفه، ابن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، وقد دوّن هذا التفسير بصورة موضوعية.

٥ حدائق ذات بهجة، أبو يوسف عبد السلام القزويني (ت ٤٨٨هـ) باللغة العربية، ويشمل جميع آيات القرآن وهذا التفسير كان موجوداً حتى زمان الصفويين.[1]

٦ بلابل القلاقل، أبو المكارم محمد بن محمد الحسني (القرن السابع) باللغة الفارسية. وقد بدأ بالآيات الّتي تبدأ بلفظ «قل».

٧ دقائق التأويل وحقائق التنزيل، أبو المكارم محمد بن محمد الحسني، وقد فسّر الآيات الّتي تشتمل على العبارات التالية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

---

(١) الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٧؛ كشف الظنون، ج ١، ص ٦٣٤.

٨ جلاء الأذهان وجلاء الأحزان، أبو المحاسن حسين بن الحسن الجرجاني (القرن الثامن) باللغة الفارسيَّة، وهو مأخوذ من تفسير أبي الفتوح الرازي إلى حدّ ما.

٩ لوامع التنزيل وسواطع التأويل، أبو القاسم الرضوي اللاهوري (ت ١٣٢٤ هـ)، باللغة الفارسية، والمؤلف من علماء الهند.

١٠ آلاء الرحمن، محمد جواد البلاغي النجفي (١٢٨٢ ـ ١٣٥٢هـ)، وآخر هذا التفسير هو الآية (٥٧) من سورة النساء، وكثيراً ما يتعرض إلى المسائل الكلامية بين الأديان.

١١ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢هـ)باللغة العربية، وهو يتعرض كثيراً إلى المباحث الاعتقادية (وخصوصاً في المجلدات الأُولى من تفسيره)، ورغم أنّ منهجه هو تفسير القرآن بالقرآن ولكنه يهتم كثيراً بالمباحث الكلامية والفلسفية.

١٢ تفسير نمونه، ناصر مكارم الشيرازي ومعاونيه (معاصر)، فارسي.

١٣ تفسير كلامي قرآن مجيد، محمد حسين الروحاني. تعرض فيه إلى المباحث الاعتقادية للشيعة والدفاع عنها، وإن كان تفسيره تفسيراً جامعاً ذا اتجاه اجتماعي.

د) النماذج.

من أهم الموضوعات والآيات الّتي كانت مورد بحث ونقاش في التفاسير الكلامية هي:

١. التوحيد الصفاتي.

٢. التوحيد الأفعالي.

٣. عصمة الأنبياء.

٤. العدل الإلهي.

٥. الإمامة وخلافة الرسول ﷺ.

٦. الهداية والضلال وعلاقتهما بحرية واختيار الإنسان.

٧. رؤية الله بالعين المادية وعلاقة ذلك بمسألة التجسيم والتشبيه.

مثال: قال إسحاق المروزي، وهو من أتباع الحنابلة ـ أشعري الكلام ـ في الآية الكريمة ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[1]: إنّ الله سبحانه يُقعِد النبي ﷺ معه على العرش وذلك جزاءً لهُ على تهجده، في حين نفى أتباع المعتزلة هذا المعنى وقالوا: إنّ حديث الجلوس على العرش محال، ووقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة، واضطر الجند إلى التدخل لإيقافها».[2]

وكذلك بالنسبة إلى الآية الشريفة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ... إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[3] فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ الله سوف يُرى في الآخرة، وهناك روايات في صحيح البخاري تؤيد هذا المعنى أيضاً.[4] وأما المعتزلة فقالت: إنّ

---

(١) الاسراء، ٧٩.

(٢) ابن الأثير، أحداث سنة ٣١٧؛ مذاهب التفسير الإسلامي، جواد زيهر، ص ١٢٣.

(٣) القيامة، ٢٢، ٢٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾.

ظاهر الآية يتعارض مع الآية الكريمة ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾،[١] وإنّ هذا المعنى ـ رؤية الله في الآخرة ـ هو من المعاني المجازية.[٢]

قال العلاّمة الطباطبائي ﷺ في الآية السابقة: «والمراد بالنظر إليه تعالى ليس هو النظر الحسّي المتعلق بالعين الجسمانية المادية الّتي قامت البراهين القاطعة على استحالته في حقّه تعالى، بل المراد النظر القلبي ورؤية القلب بحقيقة الإيمان على ما يسوق إليه البرهان ويدل عليه الأخبار المأثورة عن أهل العصمة.[٣]

خلاصة الدرس

هناك من حصر المدارس التفسيرية بثلاث مدارس، هي: الأولى: مدرسة ابن عباس بمَكّة،والثانية: مدرسةُ أُبَيّ بن كعبٍ والثالثة: مدرسةُ ابن مسعود في العراق، وهناك من قسمها بلحاظ المذهب العقائدي والمدرسة الكلامية.

الأسئلة:

س١: ما هي الفوائد المتوخاة من التعرف على المدارس التفسيرية.

س٢: تكلم بوضوح عن المدرسة الشيعية الكلامية في التفسير.

---

(١) الانعام، ١٠٣.

(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ١٢٥ ـ ١٢٧.

(٣) الميزان، ج ٢٠، ص ١٩٨.

الدرس الثامن: التفسير بالرأي

أهداف الدرس

- التعرف على معنى التفسير بالرأي.
- التعرف على حكمه.
- التعرف على أقسامه.

المحتوى العلمي

الرأي: الأصل في هذه الكلمة هو النظر بكل وسيلة وتشمل النظر بالعين أو بالقلب أو عن طريق الشهود الروحاني أو بقوة الخيال. [1]

وكلمة «الرأي»: بمعنى اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن. [2] **ويرى بعض المفسّرين أنّ القرآن والسنّة لم يستعملا «الرأي» بمعنى الإدراك العقلي.** [3] **فإذاً يمكن أنّ يقال: إنّ معنى «الرأي»: هو العقيدة أو الانطباع الشخصي الذي يتكون على أساس الظنّ.**

---

(١) مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٤، ص ١٤.

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني، مادة «رأي»

(٣) مكارم الشيرازي، تفسير به رأى، ص ٢٢.

وقفة تاريخية

لا يوجد تشخيص دقيق لبداية هذا المنهج في التفسير؛ ولكن روي[١] عن النبي ﷺ بعض الروايات في ذمّ هذه الطريقة في التفسير؛ مما يكشف عن أنّ هذا المنهج بدأ في زمن النبي ﷺ؛ ولهذا فإنّه ﷺ ذكر هذا التفسير وذمّ القائمين به، ولا يفهم من لحن الروايات أنّ هذا العمل سوف يحدث في المستقبل وأنّ النبي ﷺ قد تنبّأ به ونهى عنه.

ثمّ طرحت هذه المسألة أيضاً بعد وفاة النبي ﷺ في زمان الأئمة عليهم السلام، فصدرت عنهم روايات متعددة في ذم التفسير بالرأي،[٢] بل روي عن الإمام علي عليه السلام أنّه خاطب بعض الأفراد ونهاهم عن هذا النوع من التفسير.[٣] وفي الحقيقة أنّ بعض هذه الأحاديث تنظر إلى بعض الأفراد الذين فتحوا لهم مدارس في التفسير توازي مدرسة أهل البيت عليهم السلام،[٤] ثم انتشر هذا المنهج في العصور التالية.

---

(١) أنظر: أمالي الصدوق، ص ٦، الحديث رقم ٣؛ سنن الترمذي، ج ٤؛ كتاب تفسير القرآن، الحديث رقم ٢٩٦٠ ـ ٢٩٦١؛ مقدمة تفسير البرهان، ص ١٦.

(٢) سوف يأتي ذكر هذه الروايات فيما بعد.

(٣) البرهان، ج ١، ص ٤١.

(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٨، الباب ١٣، من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢٥.

حكم التفسير بالرأي؟

فقد استدلوا على الحرمة بآيات متعدّدة أهمّها، [١] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَابَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. [٢]

وقوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. [٣]

التوضيح: أنّ التفسير بالرأي كلام غير علمي ينسب إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ المفسّر بالرأي لا يملك اليقين بالوصول إلى الواقع، وغاية ما يتوصل إليه هو الظنّ.

الروايات المانعة من التفسير بالرأي

ثمّة روايات متعددة في مصادر الشيعة والسنّة تمنع التفسير بالرأي ومنها الروايات الّتي تدين وتذم التفسير بالرأي فقط وتذكر مجازاتهم وعقابهم وهي:

١. عن النبي ﷺ أنّه قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» [٤].

---

(١) استدل الشيخ خالد عبد الرحمن العك في أصول التفسير وقواعده، ص ١٦٨، بالآية (٤٤) من سورة النحل، ولكنه خلط بين التفسير بالرأي والتفسير العقلي، ولذلك ذكرنا هذه الآية في «منهج التفسير العقلي».

(٢) الاعراف، ٣٣.

(٣) الاسراء، ٣٦.

(٤) مقدمة تفسير البرهان (مرآة الأنوار)، ص ١٦؛ الميزان، ج ٣، ص ٧٥.

٢. عن النبي ﷺ قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[١].

ملاحظة: لقد ورد الذم في هذه الروايات بصورة مطلقة.

٣. عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر»[٢].

أقسامه: نذكر منها ما يلي:

١ـ السيد الطباطبائي: التفسير بالرأي: (الاستقلال بالرأي دون مراجعة الآيات الأُخري في القرآن)[٣].

٢ـ السيد الخوئي: «ويحتمل أنّ معنى التفسير بالرأي الاستقلال في الفتوي من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام مع أنّهم قرناءالكتاب في وجوب التمسّك ولزوم الانتهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب ولم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة عليهم السلام كان هذا من التفسير بالرأي، وعلى الجملة حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتّصلة والمنفصلة من الكتاب والسنّة أو الدليل العقلي لا يعدّ من التفسير بالرأي. [٤]

---

(١) سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٩٩؛ تفسير القرطبي، ج ١، ص ٢٧؛ كنز العمال، ج ٢، ص ١٠، والحديث حسن في سنن الترمذي.

(٢) تفسير البرهان، ج ١، ص ١٩.

(٣) الميزان، ج ٣، ص ٧٧.

(٤) البيان، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

٣ـ آية الله معرفة.

قسّم مفاد أحاديث التفسير بالرأي إلى نوعين، وهما:

أ) أنْ يعمد قوم إلى آية قرآنية فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي أو عقيدة أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاروه في هذا السبيل ولم يقصد تفسير القرآن، وهذا هو المراد بقوله ﷺ «**فقد خرّ بوجهه أبعد من السماء**» أو «**فليتبوأ مقعده من النار**».

ب) الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن مجانباً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام ولاسيّما كلامه تعالى، فإنّ الوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل وطرقاً منها: مراجعة كلام السلف، الوقوف على الآثار الواردة حول الآيات وملاحظة أسباب النزول، إلى غير ذلك من الشرائط الّتي يجب توفرها في المفسّر؛ فالغفلة عن هذه الأُمور والاعتماد على الفهم الخاص مخالف لطريقة السلف والخلف في التفسير، ومن استبدّ برأيه هلك، ومن قال على الله بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل، ولهذا فإنّه قد أخطأ وإن أصاب الواقع، لأنّه أخطأ الطريق». (١)

التعريف المختار: «إنّ معنى التفسير بالرأي هو قيام المفسّر بالتفسير دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية، أو تحميل المفسّر رأيه الشخصي على القرآن، أو عدم توفر الشرائط اللازمة لدي المفسّر، وهذا العمل بالإضافة إلى أنّه محرم في نظر الشارع فهو مُدان عند العقلاء أيضاً»

---

(١) التفسير والمفسّرون في ثوبه القشيب، ج ١، ص ٦٩، ٧٠.

مثال على التفسير بالرأي: في تفسير غرائب القرآن لنظام الدين النيشابوري؛ هناك بحوث تُذكر تحت عنوان «التأويل» بعد تناول كل مجموعة من تفسير الآيات، وهي من أوضح مصاديق التفسير بالرأي؛ فمثلاً في تفسير الآيات المتعلقة بتحدّي موسى للسحرة، قال: فالمقصود من الثعبان [١] في هذه القصة هو ثعبان النفس؛ لأنّه أضاف العصا إلى نفسه في قوله «هي عصاي»، [٢] ويُعلم منه أنّ كلّ شيء أضفته إلى نفسك وجعلته محل حاجاتك فإنّه ثعبان يبتلعك، ولذلك قال له: «ألقها يا موسى»، [٣] أيّ ألقِ عصا النفس، والمقصود من «اليد البيضاء» هي أنّ الأيدي قبل تعلقها بالأشياء كانت بيضاء نقيّة نورانية روحانية. [٤]

خلاصة الدرس

إنّ معنى التفسير بالرأي هو قيام المفسّر بالتفسير دون مراعاة القرائن العقلية والنقلية، أو تحميل المفسّر رأيه الشخصي على القرآن، أو عدم توفر الشرائط اللازمة لدى المفسّر، وهذا العمل بالإضافة إلى أنّه محرم في نظر الشارع فهو مُدان عند العقلاء أيضاً.

---

(١) الأعراف، ١٠٧.

(٢) طه، ١٨.

(٣) طه، ١٩.

(٤) غرائب القرآن المذكور في حاشية تفسير الطبري، ج ٩، ص ٢٤، ٢٥.

الأسئلة:

س١: ما هو معنى التفسير بالرأي؟

س٢: ماهوحكم التفسير بالرأي؟

س٣: ما هي أقسام التفسير بالرأي؟

س٤: ما هي أقوال العلماء في التفسير بالرأي؟

الدرس التاسع: مصادر التفسير

أهداف الدرس

١ـ التعرف على المصادر التي تدعم عملية التفسير.

٢ـ تميز الصحيح أو المعتبر من تلك المصادر عن غيرها.

المحتوى العلمي

مصادر التفسير

المقصود من مصادر التفسير هي: المستندات والمعلومات التي تكشف عن مقاصد الآيات، والتي يستعين بها المفسر على فهم القرآن، ويعبر عنها بالمآخذ، أو القرائن، أو أدوات فهم القرآن[(١)].

ذكر علماء التفسير وعلوم القرآن آراء مختلفة حول مصادر التفسير: أشار الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في مقدمة تفسير التبيان[(٢)]، وكذلك

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٥٦.

(٢) التبيان، الطوسي، ج١، ص ٤.

الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في مقدمة مجمع البيان[١]، إلى أنّ السنّة والعقل والإجماع من مصادر التفسير.

وتعرض الزركشي إلى مصادر التفسير وعدّ منها السنّة وبعضاً من علوم القرآن[٢].

وعدها بعض المعاصرين ستة كما يلي:

القرآن، روايات المعصومين عليهم السلام[٣]، المصادر اللغوية، المصادر التاريخية، العقل، النتائج القطعية للعلوم التجريبية.

التقسيمات المتصورة لمصادر التفسير

يمكن تصور عدة تقسيمات لمصادر التفسير؛ من جملتها ما يلي:

مستندات ومصادر التفسير

١ـ داخل النص: آيات القرآن.

٢ـ خارج النص:

ألف) العقلي.

ب) النقلي مثل التاريخ.

ج) العلوم التجريبية.

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ج١، ص ١٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٢، ص ١٣٦ ـ ١٦٤.

(٣) المبادئ العامة لتفسير القرآن، محمد حسين الصغير، ص ٥٣.

مصادر وقرائن فهم وتفسير القرآن (على أساس تقسيم العلوم البشرية)

مصادر وقرائن فهم وتفسير القرآن عبارة عن:

١) القرآن.

٢) المعتبر: العقل.

٣) السنّة (قول وفعل وتقرير النبي وأهل البيت عليهم السلام).

٤) العلوم التجريبية.

٥) المصادر التاريخية والجغرافية.

٦) الشهود.

٧) الإجماع.

٨) غير المعتبر: أقوال الصحابة.

٩) أقوال التابعين.

١٠) الاجتهاد الشخصي للمفسرين.

مصادر وقرائن التفسير

١ـ القرآن

تمثل الآيات القرآنية أحد أهم المصادر في فهم وتفسير القرآن، فإننا نجد في آية معينة القرينة على فهم آية أخرى، واعتماداً على تلك الآيات يمكن تناول الآية بالبحث والتفسير.

ويدخل هذا الموضوع تحت عنوانين « منهج تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي».

فتمثل الآيات القرآنية أحد المصادر الداخلية.

وللمثال نذكر ثلاث آيات متشابهة من حيث المعنى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾(٣).

عندما يركز المفسر نظره على هذه الآيات الثلاث يصل إلى قناعة مفادها: أنّ ليلة القدر ليلة مباركة، وهي من ليالي شهر رمضان، في حين أنّ الأمر لم يذكر بشكل صريح في آية آية.

٢ـ السنّة

تعد السنّة أحد مصادر وقرائن التفسير الخارجية والتي لها مكانة خاصة في التفسير، وتوجد فيها نظريات وآراء مختلفة، حتى أنّ بعض المحققين نسب إليه أنّه لا يجوز تفسير القرآن بدون السنّة، وناقشنا هذا الرأي في موضوع إمكان وجواز تفسير القرآن واعتبرناه غير مقبول.

وعلى كل حال، تمثل السنّة إحدى القرائن المهمة في التفسير، وأنّ تفسير القرآن بقطع النظر عنها يعتبر تفسيراً بالرأي؛ لأن كثيراً من المخصّصات والمقيدات للقرآن بينت من خلال السنّة.

---

(١) القدر / ١.

(٢) البقرة / ١٨٥.

(٣) الدخان / ٣.

وتشمل السنة ثلاثة أقسام هي:

أولاً: القول، يعني أحاديث النبي ﷺ في بيان المقصود من الآيات، ومما يدل عليه ما حكي عن ابن مسعود أنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»[1].

ثانياً: الفعل، بمعنى أن يكون عمل النبي ﷺ تفسيراً للقرآن، كما روي عنه ﷺ بشأن الصلاة ـ والتي ذكرها القرآن بصورة كلية ـ أنه قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

ثالثاً: التقرير، بمعنى أن يفسر القرآن بحضور النبي ﷺ ويمضي ذلك التفسير.

ملاحظة: من المفيد أن ننوه إلى أنّ «السنة» عند المذاهب الإسلامية، تستعمل لمصاديق مختلفة، فيلزم أن نبحث عن حجيتها ومدى اعتبارها وهي:

أ ـ سنة النبي ﷺ وهي حجة عندنا في التفسير.

ب ـ سنة أهل البيت عليهم السلام وهي حجة عندنا في التفسير.

ج ـ سنة الصحابة وهي ليست بحجة عندنا في التفسير.

د ـ سنة التابعين وهي ليست بحجة عندنا في التفسير.

مثال على الرجوع إلى السنّة في التفسير

---

(١) تفسير جامع البيان، ج١، ص٢٧، ٣٠.

لتفسير وإيضاح الآية، مثل شرح معنى « باسقات »[1] بـ« طولها » في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله[2].

٣ـ العقل

معنى العقل وأقسامه

العقل لغة هو الإمساك وحفظ الشيء ومنعه ويستعمل في معنيين:

أ- قوة الفكر ومصباحه (القوة المدركة).

بمعنى القوة المستعدة لقبول العلم في نفس الشيء القابل للتكليف.

ب- العقل البرهاني أو البرهان العقلي

المقصود من العقل هنا هو العقل الفطري السالم البعيد عن أهواء النفس والمصالح الشخصية، فيعدّ من المصادر المعتبرة والقرائن الخارجية على فهم الآيات القرآنية.

٤ـ العلوم التجريبية

والمقصود بها العلوم القائمة على الحس والتجربة مثل العلوم الطبيعية (كالطب وعلم النبات والتربة و...) والعلوم الاجتماعية (كالإدارة وعلم الاجتماع و. . .).

فقد جاء في القرآن الكريم أكثر من ألف وثلاثمائة آية تتحدث حول

---

(١) ق/ ١٠.

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٤، ص ٢١٨، وما بعدها.

هكذا أمور[١] مما يستلزم فهمها وتفسيرها الإحاطة بالنتائج التي توصلت إليها تلك العلوم، إذ عدم ذلك قد يتسبب في انزلاق قدم المفسر أثناء تفسيره.

٥ ـ المصادر التاريخية والجغرافية

بعض المواضيع القرآنية لها ارتباط ما بتاريخ وجغرافيا الجزيرة العربية والأنبياء السابقين وأقوامهم، مما يقتضي الوصول إلى فهمها بنحو أكمل بالاطلاع على تلك الأمور إلى حد ما.

والقرآن كتاب شامل لكل زمان ومكان، ونزل لكل العصور والأمكنة والأجيال، ولكن نزوله الأولي كان ناظراً إلى بعض الأحداث التاريخية التي تذكر أحيانا تحت عنوان (شأن النزول أو أسباب النزول) فهذه الوقائع قد تؤثر في فهم الآية.

أقسام المصادر التاريخية[٢]

ألف) مصادر الأديان السابقة، مثل: التوراة والإنجيل وملحقاتهما (العهدين) والتي بينت بعض الأمور في سيرة الأنبياء السابقين وأقوامهم.

هذه المطالب قد تكون أحياناً مؤيدة لمطالب القرآن، مثلاً جاء في القرآن ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣].

١ـ بعض الكتب أحصى عدد الآيات العلمية إلى ١٣٢٢، راجع العلوم في القران، والجمال وص ٣٥ـ٣٦.

(٢) بعض الأقسام التاريخية يظهر قبولها للدمج والإدغام ولكن فُصلت لأهمية الموضوع.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

ومثل هذا المطلب جاء في زبور داود الفعلي[١]

وهكذا قد تعيننا مطالب العهدين أحياناً في تشخيص الإسرائيليات الداخلة ضمن الأحاديث الإسلامية، مثل: خلق حواء من ضلع آدم الأيسر، الذي جاء ذكره في الروايات.

وقد ردّ العلامة الطباطبائي هذا الحديث معتمداً على مطالب مشابهة جاءت في التوراة[٢].

وعلينا توخي الدقة في الأخذ من هذه المصادر؛ لأنّها لم تبق مصونة دون أن تطالها يد المحرفين.

ب ـ المصادر التاريخية قبل الإسلام، والتي يمكن الاستفادة منها في معرفة ماضي الأفراد والأقوام ممن ذكرهم القرآن.

القرآن ينقل كل الأحداث التاريخية على شكل قصص، بل وينقل مسائل الهداية فيها أيضاً، من هنا يذكر (ذي القرنين)[٣]، و(يأجوج ومأجوج)[٤] وغيرها، ولكن لا يحكيها بتمام أحداثها مما يلزمنا مراجعة المصادر التاريخية، فبعض قالوا هو (كورش) أو الاسكندر المقدوني وجاءوا بشواهد من المصادر التاريخية للرد والإثبات[٥].

---

(١) أنظر: الكتاب مقدس، زبور داود، مزبور ٣٧، رقم ٩ ـ ١٧،١١ ـ ١٨ و٢٩.

(٢) الكتاب مقدس: سفر التكوين، الباب الثاني، رقم ٢٢.

(٣) الكهف: ٨٣ وما بعدها.

(٤) الكهف: ٩٤.

(٥) أنظر: الميزان، العلامة الطباطبائي، ج١٣، ص٣٩٧، فما بعد؛ وأيضا في شبهات وردود آية الله معرفة، بحث ذو القرنين.

ج ـ تاريخ صدر الإسلام، فقد وقعت كثير من الوقائع والحروب والأحداث في صدر الإسلام لها تأثير في فهم وتفسير القرآن.

بعض تلك الأحداث في شأن أسباب النزول والتفاسير والروايات التاريخية في صدر الإسلام.

مثال: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾[١].

نبي الإسلام ﷺ يهاجر إلى المدينة ويرافقه في هذا السفر أبو بكر[٢] فهذه الآية تعكس لنا تلك الحادثة دون أن تأتي بالأسماء لا إسم النبي ﷺ ولا أبي بكر وتفسير هذه الآية سيتوقف على الفهم التاريخي الواقعي للهجرة.

د ـ المصادر الجغرافية التاريخية

قد يكون للمطالب المتعلقة بجغرافيا الجزيرة العربية دور في فهم وتفسير بعض الآيات، وفي عصرنا الحاضر دونت كتب تاريخية وجغرافية سميت بأطلس القرآن.

مثال: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. . . ﴾[٣]

ذكرت هذه الآية التوجه إلى المشرق والمغرب والحال أنّ المدينة تقع شمال مكة وجنوب بيت المقدس فكان الأولى أن تقول الآية: (ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل الشمال والجنوب)، فنفهم من ذلك أنّ المقصود من الشرق

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) أنظر: التفاسير القرآنية في ذيل الآية ٤٠ من سورة التوبة.

(٣) البقرة: ١٧٧.

والغرب في الآية قبلة اليهود والمشركين لا الشرق والغرب الاصطلاحيين[1].

خلاصة الدرس

1) القرآن هو بنفسه من مصادر تفسير القرآن وهو حجة.
2) العقل؛ والقطع منه حجة، وأمّا الظن العقلي فليس بحجة.
3) السنة (قول وفعل وتقرير النبي وأهل البيت عليهم السلام) وحي حجّة.
4) العلوم التجريبية؛ حجة بشرط أن تكون قطعية مشهورة.
5) الشهود؛ليس حجة إلّا لنفس الشخص العارف.
6) الإجماع؛ ليس حجة إلّا فيما يورث القطع.
7) أقوال الصحابة؛ ليست بحجة في التفسير.
8) أقوال التابعين؛ليست بحجة في التفسير.
9) الاجتهاد الشخصي للمفسرين. ليست بحجة في التفسير.

الأسئلة:

س1: ما هو تعريف مصادر التفسير؟
س2: عدد خمساً من أهم مصادر التفسير الصحيحة؟
س3: أذكر بعض المصادر غير المعتبرة في التفسير؟

(1) أنظر: تفسير الأمثل، ج1، ص597.

الدرس العاشر: أصول التفسير

أهداف الدرس

١ـ الاطلاع على تعريف أصول التفسير.

٢ـ معرفة فائدتها.

٣ـ الاطلاع على أهم أصول التفسير.

المحتوى العلمي

أصول التفسير: اصطلاح استخدم في علوم القرآن الكريم وهو ليس من الاصطلاحات القديمة فلم يرد في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ت٧٩٤ق، ولم يرد في كتاب الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي ت٩١١ق، نعم ذكره ابن تيمية ت ٧٢٨ق [1] كعنوان لكتابه "مقدمة في أصول التفسير"، لكنه لم يكن اصطلاحاً مشهوراً بين المتخصصين في علوم القرآن.

الأصل في اللغة: لهذه المادة ثلاث معاني عامة هي: الأساس والقاعدة

---

(١) بن تيمية، احمد بن عبدالحليم، مقدمة في اصول التفسير، ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت.

للشيء وأوّل الشيء من جهة وكذلك الأفعى تسمى بالأصل.

أصول التفسير "أن يفتش عن الأسس التي يبتنى عليها التفسير وهو اتجاه جديد في التفسير والتي هي عبارة عن: الجمل الخبرية الحاكية عن الواقعيات المؤثرة في صحة عملية التفسير والفهم القرآني والتي تمثل أساس التفسير الذي لايمكن للمفسر الخروج عنه وتجاوزه، تلك الأصول التي قد يطلق عليها أحياناً المباني أو الاسس هي ليست من علم التفسير، بل تعد من الأصول الموضوعية المفروغ عنها، أو التي يسلّم بها المفسر قبل الدخول بعملية التفسير. لذا فهي من مباحث علوم القرآن وإن كانت أدلة بعضها قرآنية.

الأصل الأول: القرآن هو وحي إلهي

وقصدت في ذلك أنّ القرآن وحي من عند اللّه، أنزله على قلب نبيه ﷺ، ولم يتقوّله من عنده، ولم يخترعه من ذاته[1]. والآيات بهذا الشأن كثيرة، ناطقة صريحة بكون القرآن موحى إلى نبيّ الإسلام وحياً مباشريّاً لينذر قومه ومن بلغ كافّة[2]. وبالتالي نريد أن ندفع أيّ إشكال توهم بأنّ القرآن من تعليم البشر أو غير ذلك.

ومن الواضح أنّ هذه الآيات الكريمة إذا لم تكن من الله، أو إذا كان، يمكن أن يتطرق لها احتمال أن تكون من غير الله ولو عند النبي ﷺ عندئذٍ

(١) الاغر، كريم نجيب، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، المقدمة، ص٩.

(٢) معرفة، محمد هادي، شبهات وردود حول القرآن، ص١٤.

لا يمكن أن توجد أثرها التربوي في قلب النبي ﷺ أو الأمّة من خلال تفسيرها، أي لا محفز للنبي على الصبر ولاضمان له من السماء، ولا يوجد إرشاد ولا توجد تعليمات ربانية لكي يؤسس النبي عليها شخصية القيادة ويفسر القرآن ليكون هادياً ومنهجاً للأمة الجديدة.

الأصل الثاني: القرآن غير قابل للتحريف

ويقصد من ذلك أنّ القرآن بعد ما أشرنا إليه في الأصل الأول بأنّه كتاب الله وكلماته تعالى شأنه، فهو الكلام الذي لم تطله يد التحريف أو التغير، بل ولن تستطيع ذلك، وهو نص من الله محفوظ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1].

الأصل الثالث: القرآن كتاب حكيم

القرآن بعد ما أشرنا إليه في الأصل الأول بأنّه كتاب الله وكلماته تعالى شأنه، فهو كتاب حكيم ومن مظاهر حكمة القرآن عبارة عن: الانسجام الداخلي للقرآن أي عدم الاختلاف، فقد أشارت بعض الآيات أنّه لا يوجد اختلاف في هذا الكتاب الإلهي.

معقولية القرآن: اتصاف القرآن بالحكمة يستلزم معقولية القرآن، لأنّ الحكيم لا يتكلم خلافاً للعقل، بل إنّ أفعال الحكيم قائمة على أساس العقل. هدفية وهداية القرآن: في آيات عديدة أشار القرآن الكريم إلى

(١) فصلت، ٤٢.

أهدافه وصرح بأنّ أهم هدف له هو هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور[(١)(٢)].

الأصل الرابع: نظم كلمات وآيات القرآن الكريم نظم إلهي منسجم

من المعلوم أن القرآن الكريم متكون من مفردات ومن آيات وبالتالي من سور. والسؤال الذي يمكن أن يتسرب إلى الكثير هو: هل أنّ ترتيب الكلمات وترتيب الآيات وترتيب السور كان من الله، أو من رسول الله، أو من الناس؟

فالذي نقصده هو: هل أنّ النظم الداخلي للقرآن من كلمات أو آيات أو سور منسجم لا إرباك أو خلل فيه أو لا؟ وهل هو من الله ورسوله أو لا؟

والمتحصل أنّ ترتيب الكلمات والآيات من الشارع وهو توقيفي وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى السور.

الأصل الخامس: ظواهر القرآن حجة

لابد أن نحدد المقصود من عنوان هذا الأصل في هذه الدراسة، وذلك كما يلي:

أ. الظهور في الاصطلاح: اللفظ المفيد إن لم يحتمل غير معناه فهو النص، وأما الظهور: فهو المعنى الراجح المانع عن النقيض[(٣)].

---

(١) راجع: البقرة: ٢، الاعراف، ٢٠٣، يونس: ٥٧.

(٢) انظر كتاب د. الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قرآن١ (مباني وقواعد)، ص١٢٧ـ ١٣١.

(٣) القمي، الميرزا ابوالقاسم، قوانين الاصول، ص١٦٣.

ب. الحجة في الاصطلاح: الحجة كل شيء يكشف عن شيء آخر ويحكي عنه على وجه يكون مثبتاً له) ونعني بكونه مثبتاً له: أنّ إثباته يكون بحسب الجعل من الشارع لابحسب ذاته فيكون معنى إثباته له حينئذ في حق المكلف بعنوان أنّه هو الواقع[١].

الاصل السادس: وجود القراءة الصحيحة للقرآن

ويمكن بيان ذلك بالآتي:

أ. القراءة اصطلاحا: القراءات: العلم بكيفيات أداء كلمات القرآن [٢]، أي كيف تقرأ آيات القرآن الكريم، أي كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما[٣].

ب. الصحيح من القراءت: يراد بها أنّ القراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع الأفصحية والثبت القرآني وعدم مخالفتها لدليل قطعي[٤].

الأصل السابع: للتأريخ وشأن النزول مدخلية في تفسير القرآن

الأصل الثامن: أنّ القرآن لا ينفصل عن سنّة النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام

ويمكن بيان ذلك بالآتي:

أ. عدم الفصل: نقصد به عدم الانفصال والافتراق ولا نعني الا فتراق في

---

(١) المظفر، محمد رضا، اصول الفقه، ج٢، ص١٢.

(٢) عتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، ص١٤٦.

(٣) الزركشي، محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ج١، ٤٦٥.

(٤) انظر: الشيخ معرفة محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج٢، ص١٥٤.

السلطة الروحية الزمنية حيث ينتقض بزمن الغيبة، إنّما هو افتراق وحي الكتاب عن وحي السنّة، فالسنّة لا تفترق عن الكتاب فإنّها الوحي الفرع الهامش المفسر والمؤول للوحي الأصل، وهي مستفادة من القرآن، فلا تنسخه أو تخالفه.(١) والكتاب لا يفترق عن السنّة لأنّه الذي يأمر باتّباع السنّة وأنّ الرسول ﷺ هو المذكّر بالقرآن «فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ»(٢). فالسنة لا تتعارض مع القرآن لأنّها طريق الهداية المستمر كما في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى﴾ أي النبي والقرآن (٣)، وكذا لا تتناقض مع القرآن الكريم (٤)

ب. السنّة: في الاصطلاح، ما يصدر من النبي ﷺ، أو مطلق المعصوم من قول أو فعل أو تقرير غير عادي (٥)

الأصل التاسع: للقرآن بطون عدّة

للبطن معانٍ نشير إليها:

١ـ في اللغة: الباء والطاء والنون أصلٌ واحدٌ لا يكاد يُخْلِف، وهو إنْسِيُّ الشيءِ والمقْبَل مِنه. فالبطن خِلافُ الظهر. تقول بَطَنْتُ الرَّجلَ إذا

---

(١) الصادقي الطهراني، محمد، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن، ج٥، ص: ٣١٣.

(٢) سورة (ق)، ٤٥.

(٣) المظهري، محمد ثناءالله، التفسير المظهري، ، ج٥، ص: ٤٩٣.

(٤) باباي، على اكبر، مكاتب تفسيري، ج٢، ص ١٤٠.

(٥) غفاري، علي اكبر، دراسات في علم الدراية، ١١.

ضربْتَ بَطنَه. قال بعضهم:

إذا ضَرَبْتَ مُوقَراً فابْطُنْ لَهُ.

وباطِنُ الأمْر دُخْلَته، خلافُ ظاهِره. والله تعالى هو الباطنُ؛ لأنه بَطَن الأشياءَ خُبْراً[1].

٢. المقصود من هذا البحث:

ذهب الشيخ معرفة إلى إن «البطن» هو عبارة عن المفهوم العام الشامل، المستنبط من فحوى الآية وتأويلها إلى حيث تنطبق عليه من موارد مشابهة، حسب مرّ الدهور[2].

البطن: بمعنى المفهوم العام المنتزع من الآية [3] وبطون القرآن، هي عدد المستويات المعرفية التي يحملها نصٌ معين، هي من الطرق العقلائية والحكيمة لبيان مستويات مختلفة من العلوم في نصوص ذات سابقة تاريخية طويلة في حياة البشر[4].

خلاصة الدرس

أصول التفسير: هي عبارة عن الجمل الخبرية الحاكية عن الواقعيات المؤثرة في صحة عملية التفسير والفهم القرآني.

---

(١) الرازي، أحمد بن فارس زكريا مقاييس اللغة، مادة "بطن".

(٢) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسورن، ج٢، ص٥٢٧.

(٣) انظر: محمد هادي معرفة، التفسير الأثري الجامع، ج١، ص٣١.

(٤) انظر: د، الرضائي، محمد علي، منطق تفسير قران١(مباني وقواعد)، ص١٩٨.

الأسئلة:

س١: ما هو تعريف أصول التفسير.

س٢: ما هي فائدة معرفتها.

س٣: ماهي أهم أصول التفسير ؟

الدرس الحادي عشر : قواعد التفسير

أهداف الدرس

١ـ عرض تعريف لقواعد التفسير .

٢ـ عرض لأهم القواعد التفسيرية.

المحتوى العلمي

قواعد التفسير: ويقصد بها القوانين الكلية التي تكون واسطة في الاستنباط من آيات القرآن الكريم، ولا تختص بآية أو سورة معينة[(١)]، حيث تحتوي على القواعد المشتركة للتفسير، والعلوم الأخرى، وكذلك القواعد المختصة بالتفسير. نذكر أهم تلك القواعد.

أوّلاً: قاعدة السياق

مفهوم السياق

السياق في اللغة العربية: السياق في الأصل من مادة «سَوَقَ» بمعنى الجلب والطرد[(٢)].

---

(١) للتفصيل في معنى قواعد التفسير والآراء المختلفة فيها، يراجع موضوع مبحث قواعد التفسير في القسم الثاني من الكتاب.

(٢) مفردات الراغب الأصفهاني: ج٥، ص ٢٧١، مادة سَوَقَ.

وأما السياق في الاصطلاح: فهو عبارة عن خصوصية الكلمة أو الكلام الحاصلة من مكان العبارات والمفردات، وتعتبر إحدى القرائن المرتبطة للكلام وتأثيرها في تعيين المعنى للمفردات والجمل من أصول المحاورة العقلائية، ويعمّ تأثيرها هذا الكثير من اللغات المختلفة، واعتمدها العلماء المسلمون والمفسرون في فهم وتفسير الآيات القرآنية[١].

وعلى سبيل المثال، عندما نقرأ ورقة قد كتب فيها (اقتلوه) فإن كانت تلك الورقة رسالة أخلاقية كان معنى الجملة هذه محاربة النفس وكسرها ومعارضة الهوى، وإذا كانت الورقة حكماً لمحكمة كان معناها الإعدام لشخصٍ ما.

وكذلك فإنّ معنى مفردة (الدين) في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٢] مع ملاحظة إضافة كلمة (مالك) إلى كلمة (يوم) وإضافة كلمة (يوم) إلى كلمة (الدين) تكون هذه الكلمة ظاهرة في معنى الجزاء؛ في نفس الوقت الذي تكون فيه هذه الكلمة في القرآن بمعنى آخر كالشريعة[٣].

أنواع السياق وتطبيقاته:

ألف) سياق المفردات: فإنّه بسبب اقتران ووضع المفردات إلى بعضها

---

(١) سيأتي ذكر بعض النماذج لاحقاً، فمثلاً انظر: الميزان: ج١٨، ص٣٥، وج١٧، ص٩، وكذلك روح المعاني: ملجد١٥، ج٢٩، ص١٧٨، وكذلك: دروس في علم الأصول، الحلقة الأولى: ص١٠٣.

(٢) الحمد، ٤.

(٣) الكافرون، ٦.

البعض أو بتشكيل جملة خاصة[١] تتحقق خصوصية وجوّ للمعنى يضيف معنىً جديداً إلى الكلمة أو يحدد ويعيّن معنىً مشخصاً لها. وسياق المفردات هو من أقوى السياقات المقبولة عند المفسرين والمتخصصين ولا يوجد أدنى شك في اعتباره وحجيته.

ب) سياق الجمل

فقد تكون أحياناً الجملة الواحدة من الآية القرآنية قرينة على المعنى لجملة أخرى في نفس تلك الآية، وتؤثر في معناها أو تحدد وتشخص معنىً معيّن من بين المعاني المحتملة.

ج) سياق الآيات

لقد قسموا العبارات والجمل القرآنية إلى أقسام مختلفة كالسورة والآية وغيرها. وقد تكون الآيات طويلة أحياناً وأخرى قصيرة. وقد تكون الآية كلمة واحدة فقط نحو قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[٢] وقد تتكون الآية من عدة جمل طوال مثل آية ﴿الدَّيْن﴾[٣].

ثانياً ـ قاعدة الجري والتطبيق

يُعتبر القرآن الكتاب الخالد في جميع الأزمنة ولجميع الأجيال والكتاب العالمي لجميع الأمكنة ولجميع الشعوب، فلا تتحدد بقيد الزمان أو المكان،

---

(١) ويمكن أن تكون هذه الجملة اسمية أو فعلية (مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل ومفعول به).

(٢) الرحمن، ٦٦.

(٣) البقرة، ٢٨٢.

بل الحال واحدة في تطبيق الآيات على الناس الذين هم في صدر الإسلام والناس الذين هم في العصور الأُخرى.

فحياة القرآن وتفسيره مرتبطان بإعمال هذه القاعدة، كما جاء ذكر هذه النقطة في بعض الأحاديث[1].

لقد ذكرت قاعدة الجري في أحاديث أهل البيت عليهم السلام في صدر الإسلام، ولكنها لم تحضَ باهتمام المفسرين والمتخصصين في علوم القرآن.

تعريف الجري في التفسير:

ذكر العلاّمة الطباطبائي اصطلاح (الجري) مأخوذ من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ثمّ أشار إلى تلك الروايات، ثمّ كتب في تعريف قاعدة الجري ما يلي: وهذا منهج أهل البيت عليهم السلام فإنّهم يطبقون الآية القرآنية على موارد تقبل الانطباق عليها وإن كانت خارجة عن مورد نزول القرآن.

فهو يطبق قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[2] على الإمام علي عليه السلام والذي جاء ذكره في الروايات فاعتبر السيد العلاّمة أنّها من موارد تطبيق قاعدة الجري[3].

وعرف بعض الكتاب هذه القاعدة بما يلي: الجري والتطبيق: عبارة

---

(١) سنذكر لكم هذه الأحاديث في طيات هذا البحث.

(٢) الحمد، ٦.

(٣) الميزان: ج٦، ص٤١ـ٤٢.

عن انطباق الألفاظ والآيات القرآنية على مصاديق جديدة مغايرة لما نزلت حولها آيات القرآن الكريم[١].

ثالثاً: قاعدة المنع من استعمال الإسرائيليات في التفسير

قال الشيخ محمّد هادي معرفة في تعريف الإسرائيليات: هي قصة أو أسطورة تروى عن مصدر إسرائيلي، سواء أكان عن كتاب أو شخص، تنتهي إليه سلسلة إسناد القصة[٢].

رابعاً: قاعدة تأثير أهداف القرآن والسور والآيات على التفسير

إن للالتفات إلى أهداف السور والآيات أثر بالغ في فهم وتفسير الآيات، ومن هنا كان هذا الموضوع مورد عناية بعض المفسرين والكتّاب في القرآن، فكان من عادة العلامة الطباطبائي في الميزان والشيخ مكارم الشيرازي أن يذكر أهداف السورة قبل البدء بتفسيرها[٣].

إنّ أحد أنواع التفاعل بين المسلمين وغيرهم هو التفاعل الثقافي ولا سيما في خصوص الآيات الكثيرة التي أشارت إلى التوراة والإنجيل[٤]، أو في ما يتعلق بقصص الأنبياء الماضين عليهم السلام، كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام[٥] أو

---

(١) روش هاى تأويل قرآن: ص١٤٧.

(٢) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ج٢، ص٧٩.

(٣) سنذكر لكم بعض النماذج لاحقاً.

(٤) انظر: آل عمران: ٣-٤٨-٥٠-٦٥-٩٣، والمائدة: ٤٣-٤٤-٤٦-٦٦-٦٨-١١٠.

(٥) انظر: البقرة: ١٢٤-١٤٠-٢٥٨-٢٦٠، وآل عمران: ٤٣-٦٥-٦٨-٨٤-٩٥ وغيرها.

سيدنا موسى عليه السلام[1]، أو سيدنا سليمان عليه السلام[2]، أو سيدنا عيسى عليه السلام[3]، فقد حظت هذه الآيات أو القصص باهتمام اليهود والمسيح القاطنين هناك.

ومن حيث إنّ القرآن بيّن هذه القصص من الجهة التربوية فلم يتطرق لجميع الجزئيات ولم توضح جميع زوايا تلك القصص، ومن هنا توجه بعض المسلمين بالأسئلة ـ حول الأنبياء السابقين ـ إلى اليهود وإلى المسيح فطلبوا المعلومات التكميلية لتلك القصص من التوراة والإنجيل، كما نُقل ذلك عن عمر[4]. هذا كله من جهة ومن جهة أخرى فإنّ بعض العلماء اليهود والمسيحيين كانوا يدخلون الإسلام، وهذا الأمر يساعد على التبادل الثقافي، بحيث تشكلت أقطاب الاسرائيليات كشخصيات بين المسلمين أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه[5] فكان بعض أولئك الأفراد يدخل مطالباً ومعلومات محرّفة من التوراة أو من الإنجيل في الوسط الإسلامي ويزرعها في الثقافة الإسلامية إما عمداً أو سهواً، وقد يحكونها بشكل أحاديث مرفوعة إلى بعض الأنبياء[6]. وقام بعض الرؤساء المسلمين بتهيئة وتوفير الأرضية لنمو هؤلاء الأفراد، وذلك لأغراض سياسية وثقافية

---

(١) انظر: البقرة: ٥١ـ٦٧ـ٨٧ـ٩٢ـ١٠٨ـ١٣٦ وغيرها.

(٢) انظر: البقرة: ١٠٢، والنساء: ١٦٣، والنمل: ١٥ـ٤٤، وسبأ: ١٢، وسورة ص: ٣٤.

(٣) انظر: البقرة: ٨٧ـ١٣٦ـ٢٥٣، وآل عمران: ٤٦ـ٥٩ وغيرها.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٣٨٧، وفتح الباري في شرح البخاري: ج١٣، ص٢٨١.

(٥) انظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ج٢، ص٩٤ وما بعدها.

(٦) أضواء على السنة المحمدية: ص١٧٣ـ١٧٤.

خاصة[١]، فأصبح ذلك الأمر خطراً كبيراً يهدد الثقافة الإسلامية. ولم يكن هذا الخطر يهدد المجال التاريخي بما يخص ا لأنبياء فقط، بل تجاوز إلى الحديث والتفسير، ومن هنا وجدت بعض المطالب الاسرائيلية طريقها إلى التفاسير[٢].

مثال: أنّ الفهم الأولي من بعض الآيات إذا طبقنا عليه هذا الهدف القرآني سوف يتغير كما في قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور)[٣] فإنّ الشفاء المراد ليس من الأمراض البدنية والمادية، وذلك هو الشفاء المتعارف وإنّما المراد من الشفاء: هو تحصين العقل وطرد الشبهات والوصول للإيمان وصحة العقيدة وإبطال مفاسد الشيطان وزيوغ القلب. و إليه ذهب كثير من المفسرين.[٤]

خلاصة الدرس

قواعد التفسير: ويقصد بها القوانين الكلية التي تكون واسطة في الاستنباط من آيات القرآن الكريم، ولا تختص بآية أو سورة معينة، حيث تحتوي على القواعد المشتركة للتفسير، والعلوم الأخرى، وكذلك القواعد المختصة بالتفسير.

---

(١) المصدر السابق: ص ١٨٠ـ١٨١.

(٢) سيأتي لاحقاً ذكر نماذج لتلك الأحاديث.

(٣) يونس ٥٧.

(٤) نور الثقلين جلد ٢ صفحة ٣٠٧ وجوامع الجامع جلد ٢ صفحة ١١٧ والتبيان جلد ٥ صفحة ٣٩٤.

الأسئلة:

س١: عرف قواعد التفسير.

س٢: عرف السياق.

س٣: ما هي أنواع السياق؟

س٤: عرف قاعدة الجري والتطبيق.

س٥: عرف الرواية الإسرائيلية.

الدرس الثاني عشر: مناهج التفسير

أهداف الدرس

١ـ تعريف المنهج التفسيري.

٢ـ عرض لأهم مناهج التفسير مع أمثله لها.

المحتوى العلمي

المنهج التفسيري هو تبيين المصدر أو الأداة والوسيلة لكل مفسر في تفسير القرآن الكريم والتي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات، فهل يأخذ العقلَ أداةً للتفسير أو النقل؟ وعلى الثاني فهل يعتمد في تفسير القرآن على نفس القرآن، أو على السنّة، أو على كليهما، أو غيرهما؟

وبالجملة ما يتخذه مفتاحاً لرفع إبهام الآيات، وهذا هو ما نسمّيه المنهج في تفسير القرآن في كتابنا هذا[١].

خلاصة التعريف: المنهج هو الأداة أو المصدر المستخدم للتفسير.

عرض لأهم مناهج التفسير:

---

(١) السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، ص ٧٣.

وأما أهم تلك المناهج فهي كما يلي:

١. منهج تفسير القرآن بالقرآن.

٢. منهج التفسير الروائي (التفسير علي أساس السنّة).

٣. منهج التفسير العلمي (باستخدام العلوم التجريبيّة في فهم القرآن).

٤. منهج التفسير الإشاري (العرفاني، الصوفي، الباطني، الرمزي، الشهودي).

٥. منهج التفسير العقلي والاجتهادي.

٦. منهج التفسير بالرأي (المنهج الممنوع في تفسير القرآن).

أوّلاً: منهج تفسير القرآن بالقرآن.

يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من أقدم طرق التفسير، ويرجع استخدامه إلى زمن الرسولﷺ وقد استخدمه الأئمة عليهم السلام وبعض الصحابة والتابعين.

وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

١. سُئل الرسولﷺ عن معنى «الظلم» في الآية الكريمة ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، [١] فأجابﷺ وبالاستناد إلى الآية ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢] بأنّ المقصود بالظلم في الآية الأولي هو الشرك المذكور في الآية الثانية. [٣]

(١) الأنعام، ٨٢

(٢) لقمان، ١٣.

(٣) صحيح البخاري؛ كتاب تفسير القرآن؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٤٤؛ بصائر الدرجات، الصفّار، ص ١٩٥.

يتبيَّن من خلال هذا الحديث والأحاديث المشابهة أنَّ الرسولﷺ استخدم هذا المنهج في التفسير، وأنّه قام بتعليم أتباعه عملياً على استخدامه.

٢. استنتج الإمام عليعليه السلام من خلال الآيتين ﴿وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[١] و﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٢] بأن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر.[٣] فاذا كانت مدّة الرضاع سنتين ومدّة الحمل والرضاع معاً ثلاثين شهراً، ووضعنا الآيتين جنباً إلى جنب، فتكون النتيجة واضحة وهي أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

٣. بيَّنَ الإمام الباقرعليه السلام المقصود من الآية ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلَوةِ﴾[٤] في مسألة القصر لصلاة المسافر، وذلك استناداً إلى الآية ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[٥] وأثبت وجوب القصر عن هذا الطريق.[٦]

ثانياً: منهج التفسير الروائي (التفسير علي أساس السنّة).

يُعدّ منهج التفسير الروائي من أقدم المناهج التفسيريَّة وأكثرها شيوعاً.

---

(١) لقمان، ١٤.

(٢) الاحقاف، ١٥.

(٣) تفسير الصافي، ج ٥، ص ١٤، (سورة الأحقاف، ١٥، ١٦)؛ تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج ٢، ص ٤٤٥، نقلاً عن الصحابة.

(٤) النساء، ١٠١.

(٥) البقرة، ١٥٨.

(٦) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٥٣٨، (الباب ٢٢ من أبواب صلاة المسافر، ح ٢).

وهو أحد أقسام «التفسير بالمأثور»[(١)] أو «التفسير النقلي». وللتفسير الروائي مكانة خاصة بين المناهج التفسيريَّة، وكان دائماً محط اهتمام المُفسرين.

المقصود من منهج التفسير الروائي هُنا هو استفادة المفسِّر من سُنَّة النبيﷺ وأهل البيت عليهم السلام (والّتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم) لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها. وهذا المنهج يحقق نتائج وآثاراً خاصة أيضاً.

مثال:

ساهمت بعض الروايات في توضيح وشرح بعض الكلمات المبهمة والمجملة، وكشفت الغطاء عن الألفاظ الصعبة، وتُعد هذه الطريقة من أهم وظائف التفسير الاصطلاحي.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَي النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلاً﴾، [(٢)] وهنا لم يتعيّن حد الاستطاعة في الحج الواجب، وقد ورد الحديث عن النبيﷺ في أنّ المقصود من ذلك هو: «الزاد والراحلة». [(٣)]

ومثال آخر: ﴿وَ النَّخْلَ بَاسِقَت لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾، [(٤)] فقد سُئل النبيﷺ عن المراد من «باسقات» فأجابﷺ: «طويلات».

---

(١) التفسير بالمأثور يشمل: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنّة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين. فالمراد من التفسير الروائي عند الإطلاق هو القسم الثاني أُنظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب: ج ٢، ص ٢١ وما بعدها.

(٢) آل عمران، ٩٧.

(٣) الاتقان، ج ٤، ص ٢١٨.

(٤) سورة (ق)، ١٠.

ثالثاً: منهج التفسير العلمي (باستخدام العلوم في فهم القرآن).

منهج التفسير العلمي: هو الاستفادة من العلوم التجريبيّة والطبيعية لتفسير الإشارات العلميّة لآيات القُرآن.

ملاحظة: قضايا العلوم التجريبيّة ليست قطعيّة بمعنى (القطع العلمي)، أي ليست ثابتة ومُطابقة للواقع حتماً، ولكن قد تكون ثابتة وقطعيّة بمعنى (القطع الذاتي؛ أي قد تصبح القضايا العلميَّة كالبديهيَّة عن طريق المشاهدة أو عن طريق القرائن الأُخرى.

كما هو الحال في «حركة الأرض» الّتي أصبحت في عصرنا الحاضر من البديهيَّات.

فالإنسان قد يصل إلى القطع في قضيَّة علميَّة أحياناً عن طريق القرائن الخارجيَّة، أو العقليّة. وسوف يتبيَّن في البحوث الآتية أنّ هناك فرقاً بين العلوم القطعية والنظريات الظنيَّة، وأنّ الاستفادة من النوع الثاني غير صحيحة، لأنّ النظريات الظنيّة لا يمكن الاعتماد عليها في التفسير لأنّهُ قد يُعتمد عليها مئات السنين ثم يتبيَّن عدم صحتها.

أمثلة من التفسير العلمي الخاطئ

١. **الشيخ الرئيس ابن سينا**: الطبيب والفيلسوف الفارسي الشهير: قال في تفسير كلمة «العرش» في قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[1] العرش هو فلك الأفلاك (الفلك التاسع في هيئة

---

(١) الحاقّة، ١٧.

بطليموس)، أمّا «الملائكة»فهي الأفلاك الثمانية (القمر ـ الشمس ـ الزهرة ـ عطارد ـ زحل ـ المُشتري ـ المرّيخ ـ والفلك الثابت). [١]

٢. الفخر الرازي: طبّقَ بعض المسائل العلميّة علي القرآن، فاستدلّ علي سكون الأرض [٢] بالآية الكريمة ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً﴾[٣] وناقش الآراء الفلكيّة القديمة لبطليموس وقدماء الهند والصين وبابل ومصر والروم والشام في تفسير الآية الكريمة (١٦٤) من سورة البقرة.

بينما يمكن تفسير بعض الآيات العلمية وبشكل صحيح وفقا لنتائج العلم الحديث، لذا نرى القرآن يشير إلى قانون الجاذبية وكروية الأرض، وحركة الارض والأجرام السماوية ونظام الزوجية في النباتات، ويستدل بذلك على الإعجاز العلمي للقرآن.

وكمثال:

الرياح: (وأرسلنا الرياح لواقح) (الحجر/ ٢٢).

وجد أنّ الرياح لها دور في تلقيح الأشجار، بل وتلقيح السحاب، حيث تقود السحابة ذات الشحنة الموجبة إلى السحابة ذات الشحنة السالبة ويحدث الرعد والبرق والمطر.

---

(١) راجع: رسائل ابن سينا، ص ١٢٤ ـ ١٢٥، طبعة الهند، ١٩٠٨؛ الذهبي، التفسير المفسرون، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٢) مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٩٤.

(٣) البقرة، ٢٢.

خلاصة الدرس

المنهج التفسيري هو تبيين المصدر أو الأداة والوسيلة لكل مفسر في تفسير القرآن الكريم والتي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات.

الأسئلة:

س١: ما هو تعريف المنهج التفسيري؟

س٢: عدد أهم مناهج التفسير.

الدرس الثالث عشر: الاتجاهات التفسيرية

أهداف الدرس

١ـ تعريف الاتجاه التفسيري.

٢ـ عرض لأهم اتجاهات التفسير مع أمثلة لها.

المحتوى العلمي

نقصد بالاتجاه في التفسير: هو أنّ يؤثر ما عند المفسّر من العقائد والمعلومات والميول والرغبات والأفكار أو المشهورات أو القطعيات المذهبية أو الكلامية أو التخصصية في منح التفسير جهة أو لون خاص. فيكون تناول التفسير على أساس تلك المعلومات والمعطيات التي في ذهن المذهبي أو الكلامي أو المتخصص المعيّن ويسلط الضوء على التفسير انطلاقاً من احتياجاته ومعتمداً ذوقه وفنّه في مجاله.

ومن ذلك الاتجاه الفقهي في التفسير القائم على أساس المذاهب الفقهية المختلفة والاتجاه الكلامي والفلسفي والاجتماعي والأدبي.[١]

---

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٦.

تحليل التعريف:

الاتجاه التفسيري: هو مايحمله المفسّر من وجهة فكرية أو تخصصية تنعكس في عملية التفسير على المطالب التفسيرية المطروحة والمبحوثة أو المفسرة إن صحّ التعبير، فكل ما يعتقده المفسر أو يعتنقه من مسائل عقائدية أو علمية أو تخصصية تتحكم وتؤثر في نوعية التفسير وطابعه العام، (فيكون تناول التفسير على أساس تلك المعلومات والمعطيات التي في ذهن المذهبي أو الكلامي أو المتخصص المعيّن ويسلط الضوء على التفسير انطلاقاً من احتياجاته ومعتمداً ذوقه وفنّه في مجاله)[١].

أشهر الاتجاهات التفسيرية:

لقد ذكرنا أن الاتجاه يرتبط بتخصص المفسر، ولأنّ التخصصات العلمية كثيرة فإنّ الاتجاهات التفسيرية كثيرة ومتنوعة ولكن المشهور منها ما يلي:

الأول: الاتّجاه الفقهي.

الثاني: الاتجاه الكلامي.

الثالث: الاتجاه الفلسفي.

الرابع: الاتجاه الاجتماعي.

الخامس: الاتجاه الادبي.

السادس: الاتجاه التربوي.

---

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٦.

وانا ندرك التمايز بين الاتجاهات العامة للتفسير ببسيط من التأمل فنقول: إن هذا التفسير كأنّه بحث في الأحكام الشرعية، وهذا كأنّه بحث في المسائل الفلسفية، ذلك لأنّ لكل اتجاه مميزات ومحاور للبحث، فعلى سبيل المثال يمتاز الاتجاه الأدبي وأصحابه بما يلي:

١. الاهتمام بالصرف والنحو والمفردات وإعراب الآيات.

٢. شرح النكات البلاغية والفصاحة القرآنية.

٣. بيان المفردات الغريبة والمشكلة.

٤. بيان الإعجاز الأدبي والبلاغي للقرآن.

٥. البحث في إظهار جذور المفردات اللغوية في اللغة العربية وغير العربية كالمفردات الدخيلة.

٦. بحث وترجيح القراءات.

٧. الاعتماد والاستشهاد بأشعار العرب.

٨. التوغل في مباحث لغوية كالوجوه والنظائر والمجاز والحقيقة وغيرها. (١)

وأمّا مميزات الاتجاه التربوي للتفسير

فنقول وبالله العون:

١. إنّ هذا المنحى من التفسير يحتاج إلى العالم التربوي أو قل من درس علم التربية بالشكل الأكاديمي بشكل جامع لكي يخوض فيه، حاله

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٧ـ ٤٨.

حال التفسير الأدبي الذي لا يمكن تحققه بدون وجود الأديب. فهذا التفسير لا يمكن تحققه بدون وجود التربوي.

٢. يمتاز بشرح النكات التربوية والأخلاقية والعرفانية.

٣. الاهتمام ببيان العمق التربوي. المعجز، وذلك بالكشف عن كيفية تربية الله تبارك وتعالى للإنسان، وهو الأعرف بمخلوقه وبفطرته وطاقاته.

٤. بيان توظيف الألفاظ العربية في صور جمالية أو جلالية لصنع التأثير التربوي.

٥ـ يمتاز بمقوّمات تربية الفرد والمجتمع والأمة والعالم وإيضاحها، من العناصر والمشتركات والأساليب.

٦. الاهتمام بالأساليب والطرق التربوية والأدوات والمباني والأصول والفلسفات وسياسة الاقناع التعقلي في إيجاد العملية التربوية والأثر التربوي.

٧. الوقوف عند الأساليب التربوية الرقيقة والشديدة والأحكام والإرشادات والقصة والترغيب والترهيب وغيرها.

٨. بيان أنواع وأهم الأبعاد التربوية سواءً كانت العلمية أم الجهادية، أم المعنوية، أم البدنية وغيرها.

٩. لابد أن يكون متميزاً بالموضوعية والواقعية ومعايشاً للحياة اليومية أو متميزاً بجنبة التفسير التربوي في حل المشاكل التربوية التي يعرضها العالم أو في اكتشاف الجواب الشافي أو في معرفة وجهة النظر القرآنية حول

أركان ومكونات النظام التربوي الإسلامي.[1]

مثال على اتجاه التفسير التربوي

الآية الأولى:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

أولاً: النظام التربوي الإسلامي.

١ـ المجالات والأبعاد التربوية:

التربية الدينية: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. ووجه الارتباط: أن يتربى الإنسان دينياً على التسبيح والتقديس والتنوع في شكل العبادة.

أ)التربية الدينية: (الملك) (القدوس) (العزيز) (الحكيم). ووجه الارتباط: أن يعرف ويتربى على كون الملك الحقيقي هو الله فلا يطلب إلّا منه فهو الغني، وكذا فهو الأطهر المقدس والعزيز والحكيم، فيمارس هذه المفاهيم ويُعملها في حياته.

ب) التربية المعنوية: (القدوس). وجه الارتباط: يسعى الإنسان أن يكون طاهراً، وهذا منهجاً للتربية المعنوية في تطهير النفس من كل الرذائل كي تسمو نحو خالقها بالتحلي بصفاته.

التربية الأخلاقية: ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. وجه الارتباط: أن

---

(١) ابوخمسين، هاشم، التفسير التربوي، ص٤٧ـ ٤٨.

يتربّى أخلاقياً على الغنى لا الفقر والطهارة لا الرذائل وأن يكون عزيزاً لا ذليلاً حكيماً غير جاهل أو طائش.

خلاصة الدرس

الاتجاه التفسيري: هو مايحمله المفسر من وجهة فكرية أو تخصصية تنعكس في عملية التفسير على المطالب التفسيرية المطروحة والمبحوثة.

الأسئلة:

س١: ما هوتعريف الاتجاه التفسيري.

س٢: اذكر أهم اتجاهات التفسير الموجودة.

الدرس الرابع عشر: الأساليب التفسيرية

أهداف الدرس

١ـ تعريف الأسلوب التفسيري.

٢ـ عرض لأهم الأساليب التفسيرية مع أمثلة لها.

المحتوى العلمي

تمهيد:

قد يرغب بعض المفسرين باختيار أسلوب خاص في كتابة تفسيره فتتعدد التفاسير تبعاً لذلك، فهناك التفسير الترتيبي، والموضوعي، والمزجي، والمختصر، والمفصّل. فجميع هذه الطرق تتعلق بأسلوب الكتابة وطبيعة ذوق المفسِّر.

ويعرف أسلوب التفسير بأنّه: طريقة تناول المفسر للآيات بالتفسير.

فإن تناول الآية بعد الأخرى فهو تفسير ترتيبي، وإن تناولها اختيارياً وبحسب الموضوع فهو تفسير موضوعي. وهكذا.

فللتفسير أسلوبان رئيسيان، هما:

١ـ أن يعمد المفسّر في طريقة التفسير الترتيبي إلى تفسير آيات القرآن بطريقة ترتيبية، أي بحسب وجودها في المصحف أو بحسب نزولها. وهناك تفاسير ترتيبية تبدأ بتفسير القرآن من أوّله إلى نهايته، وهناك تفاسير ترتيبية تبدأ بتفسير القرآن من النهاية (الجزء الثلاثين) إلى البداية (الجزء الأول).

٢ـ أن يعمد المفسر إلى موضوع معين، ثمّ يستخرج آياته ويفسرها ويشكّل صورة نهائية عن ذلك الموضوع.

أقسام التفسير الموضوعي

قسّم بعض المفكرين والعلماء التفسير الموضوعي إلى قسمين:(١)

١. التفسير الموضوعي الاتحادي: ويهتم ببحث ودراسة أحد المواضيع القرآنية مثل (المعاد، الإمامة، و...).

٢. التفسير الموضوعي الارتباطي: وهو الذي يهتم ببحث ودراسة الارتباط بين المواضيع القرآنية (مثل علاقة الإيمان والعمل)، كما هو الحال في كتاب (المجتمع والتاريخ) لآية الله مصباح اليزدي.

خصائص التفسير الموضوعي

١. جمع ودراسة الآيات المتعلقة بموضوع واحد؛ فمثلاً نقوم باستخراج جميع الآيات المتعلقة بالتوحيد أو المعاد و... بالإستفادة من الفهارس الموضوعية أو المعاجم المفهرسة وتفسير بعضها بالبعض الآخر.

---

(١) أنظر: آية الله مكارم الشيرازي، نفحات القران، ص ١٨.

٢. إنّ الهدف النهائي لهذا التفسير هو الخروج برأي نهائي للقرآن حول موضوع معين.

٣. جعل الآيات المحكمة في القرآن هي المحور وإرجاع الآيات المتشابهة إليها.

٤. عادة ما يكون التفسير الموضوعي تفسيراً عملياً يرتبط بالتجربة الحياتية للبشر، حيث يسعى إلى حلّ المشكلات والأسئلة المطروحة.

٥. من خصائص التفسير الموضوعي هو الانسلاخ من قيود الزمان والمكان، حيث يلغي الخصوصيات الزمانية والمكانية للآيات (كما هو الحال في قصص القرآن) ويستخرج لبّ المعنى من الآية ويستخدمها كقاعدة وقانون كلي للإجابة على الأسئلة والمشاكل الّتي تواجه الفرد والمجتمع.

فوائد التفسير الموضوعي

١. الحصول علي الرأي النهائي للقرآن حول موضوع معيّن.

٢. الإجابة علي الأسئلة الجديدة للبشر بالاستفادة من آيات القرآن.

٣. رفع الإبهام الابتدائي في آيات القرآن وتوضيح الآيات المتشابهة.

٤. الاطلاع على شرائط وأسباب ونتائج الموضوعات والمسائل المختلفة المطروحة في القرآن.

٥. الحصول على الأسرار والمعاني الجديدة للقرآن عن طريق ضم الآيات بعضها إلى البعض الآخر.

٦. الحصول علي تفسير جامع حول الموضوعات المختلفة مثل التوحيد، وجود الله، المعاد و. . . [١]

الاختلاف بين التفسير الترتيبي والموضوعي

١. التفسير الترتيبي يبيّن مدلول الآية بصورة مستقلة عن الآيات الأُخرى، في حين أنّ التفسير الموضوعي ينظر إلى المدلول المركّب وبالتالي الحصول علي الرؤية القرآنية الكاملة. [٢]

٣ ـ التفسير الترتيبي ينظر إلى زاوية من زوايا الموضوع ويعطي رؤية ناقصة حول المواضيع القرآنية، في حين أنّ التفسير الموضوعي يعطي رؤية كاملة وجامعة حول الموضوع القرآني.

٣. يعد التفسير الترتيبي مقدمة للتفسير الموضوعي، وأنّ القيام بالتفسير الموضوعي دون الإحاطة والاطلاع علي التفسير الترتيبي غير صحيح؛ لأنّه عن طريق ذلك يمكن الحصول على كثير من القرائن الموجودة في الآيات السابقة واللاحقة للآية (السياق)، ولا يحصل هذا الأمر إذا ما أخذنا التفسير الموضوعي لوحده.

٤. التفسير الترتيبي سلبي وعادة ما يكون بدون الالتفات إلى الآيات

---

(١) من النقطة (٣ ـ ٦) نقلاً عن: مكارم الشيرازي، نفحات القران، ج ١، ص ٢٢، ٢٣.

(٢) لقد دشّن الشهيد الصدر الأسس النظرية لضوابط التفسير الموضوعي، وذكر خصائصه وصلته بالواقع، ودوره في اكتشاف النظريات الإسلامية في مختلف الحقول المعرفية، أنظر: المدرسة القرآنيّة، الدرس الأوّل والثاني، ﴿المترجم﴾.

الأُخرى للقرآن، ودون طرح نظرية أو تناول موضوع سابق، أمّا التفسير الموضوعي فهو إيجابي، أي يقوم المفسّر بتفسير الآيات مع الالتفات إلى الآيات الأُخرى وإعطاء الرأي النهائي للقرآن، وبعبارة أخرى: التفسير الترتيبي لا يكشف عن الارتباط بين الآيات والمطالب والمفاهيم الموجودة في القرآن بخلاف التفسير الموضوعي.(١)

٥. يبدأ التفسير الترتيبي من النص، أمّا الموضوعي فيبدأ من واقع الحياة البشرية؛ أي أنّ التفسير الموضوعي يعالج الموضوعات الّتي تقع في الخارج والمشاكل والأسئلة الّتي تواجه الإنسان، وبعبارة أُخرى: التفسير الترتيبي هو توضيح لآيات القرآن دون الالتفات إلى الحاجات الفعلية للمجتمع، أمّا التفسير الموضوعي فهو جواب للحاجات البشرية الفعلية للمجتمع الإنساني، ولهذا اعتبر من التفسير العملي التطبيقي.

٦. التفسير الترتيبي يكون من طرف واحد، والمفسّر يأخذ دور المنفعل دائماً على عكس التفسير الموضوعي حيث يقوم المفسِّر بدور إيجابي وفعّال، وذلك لأنّهُ يطرح الأسئلة علي القرآن ويسعي في الحصول علي الإجابات منه.

٧. التفسير الموضوعي يؤدّي إلى النمو والنضج العلمي أكثر من التفسير الترتيبي كما حصل ذلك في مجال الحديث، حيث إنّ علماء الحديث على

---

(١) أنظر: مقالة «التفسير القرآني بين التجزيئي والموضوعي»، الشهيد الصدر، مجموعة آثار، ج ١٣، ص ٢٧ وما بعدها.

قسمين: محدّثون وفقهاء؛ فالمحدثون يقومون بنقل الحديث وشرحه بطريقة ترتيبية (مثل مرآة العقول للمجلسي و. . .)، في حين يقوم الفقهاء بشرح الأحاديث بصورة موضوعية كما هو الحال في علم الفقه؛ مما أدّى إلى نمو واتّساع الحركة العلمية في الفقه على عكس الحالة الموجودة في مجال التفسير؛ حيث سيطر الاتجاه التجزيئي لمئات السنين، ولهذا لم يحدث نمو وتطور في مجال التفسير إلّا قليلاً.

التفاسير الموضوعية المشهورة

١. مفاهيم القرآن، آية الله الشيخ جعفر السبحاني، اثنا عشر مجلداً.

٢. نفحات القرآن آية الله مكارم الشيرازي، طبع منه أكثر من عشرة مجلدات.

٣. تفسير موضوعي قرآن مجيد، آية الله جوادي الآملي، نشر منه لحد الآن أربعة عشر مجلداً.

٤. معارف القرآن، آية الله مصباح اليزدي.

خلاصة الدرس

أسلوب التفسير هو: طريقة تناول المفسر للآيات بالتفسير.

فإن تناول الآية بعد الأخرى فهو تفسير ترتيبي، وإن تناولها اختيارياً وبحسب الموضوع فهو تفسير موضوعي.

الأسئلة:

س١: أذكر تعريف الأسلوب التفسيري؟

س٢: أذكر أهم الأساليب التفسيرية؟

س٣: اذكر ثلاث اختلافات بين التفسير الترتيبي والموضوعي؟

الدرس الخامس عشر: خطوات التفسير

أهداف الدرس

** التعرف على خطوات بعض المفسرين في تفسيرهم.

المحتوى العلمي

إنّ أغلب المفسرين لديهم خطوات يقطعونها من أجل الانتهاء من كتابة تفسير الآية القرآنية، تلك الخطوات تمثل مراحل عملية التفسير، وهذه الخطوات قد تكون واضحة في بعض التفاسير وقد لا تكون في أخرى. وهي تزداد وتقل بحسب عمق التفسير وبحسب الحاجة وبحسب الهدف المكتوب من أجله التفسير. ونحن نعرض عليكم نماذجاً لبعض التفاسير وخطواتها خلال عملية التفسير.

أوّلاً: تفسير القرآن الكريم، للسيد عبدالله شبر

وهو يتكون من خطوتين:

١ـ ذكر المفردة القرآنية.

٢ـ ذكر معناها وشرحها.

ثانياً: تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي:

حيث يقول﵀ في مقام بيان تعداد خطواته في تفسيره: وقدَّمتُ في مطلع كل سورة ذكر:

١ـ مكيها ومدنيها.

٢ـ الاختلاف في عدد آياتها.

٣ـ تلاوتها.

٤ـ الاختلاف في القراءات.

٥ـ العلل والاحتجاجات.

٦ـذكر العربية واللُّغات.

٧ـ الإعراب والمشكلات.

٨ـ ذكر الأسباب والنزولات.

٩ـ ذكر المعاني والأحكام والتأويلات.

١٠ـ القصص والجهات.

١١ـ ذكر انتظام الآيات.

ثالثاً: تفسير البصائر للشيخ يعسوب الدين بن أحمد رستكار الجويباري

خطواته في التفسير بعد ذكر مقاطع من الآيات بيان عشرين أمراً في فصل وعنوان مستقل يدور عليها في كل مقطع من مقاطع التفسير، كما أشار

إليها المؤلف في مقدمة كتابه وهي عبارة عن:

١ـ فضل كل سورة وخواصها، بعد إمعان النظر فيما ورد فيها من الروايات سنداً ومتناً ودلالة، وبذل الوسع في إظهار توافقها مع أغراض السّور القرآنية ومساسها بأهدافها.

٢ـ بيان غرض كل سورة وهدفها.

٣ـ النزول وبيان ترتيب السّور وآياتها نزولاً ومصحفاً على التحقيق.

٤ـ القراءة ووجهها.

٥ـ وجه الوقف والوصل في الجمل القرآنية وآياتها.

٦ـ بحث لغوي مستقصى.

٧ـ بحث نحوي كامل في الجمل القرآنية وآياتها.

٨ـ بحث بياني فيها.

٩ـ وجه إعجاز كل سورة، بل كل مقطع من مقاطع التفسير.

١٠ـ وجه تكرار القصص والآيات والكلمات.

١١ـ التناسب بين السّور نزولاً ومصحفاً وبين آياتها.

١٢ـ بيان الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه.

١٣ـ ذكر الأقوال وتحقيقها وبيان المختار منها.

١٤ـ تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل.

١٥ـ ذكر جملة من المعاني.

١٦ـ بحث روائي مع إمعان النظر في جوانب الروايات.

١٧ـ بحث فقهي مجمل.

١٨ـ بحث مذهبي على اختلاف العقائد وتشتت الآراء.

١٩ـ بيان الحكم القرآنية والمعارف الإسلامية تفصيلاً.

٢٠ـ استخراج النكات والدقائق، مذيّلة بتبصرة يذكر فيها خلاصة السّورة (١).

رابعاً: تفسير الميزان، للعلامة محمد حسين الطباطبائي

وأمّا منهجه التفسيري، فهو في بداية تفسير كل سورة ينبّه على مكّي الآيات ومدنيّها، ثم يبيّن غرضها الأساسي الذي عالجته، والأغراض التي تعرضت لها آياتها، مع اهتمام المفسر باستقلالية السور في مضامينها ومقاصدها، ثم يوزّع آيات السورة المراد تفسيرها على مقاطع قرآنية، وقد يكون المقطع آية واحدة أو بضع آيات، ثمّ يشرح في الآية معاني المفردات، المقتضية بياناً لغوياً بالقدر الذي يعين على بيان المعنى وكشف المقصود، ويذكر الإعراب والصور البلاغية في بيان نكتة أو فائدة، ويذكر أقوال المفسرين، ثم يبدأ بالنظر في الآية على مبدأ السياق الذي استخدمه المفسر في بيان المعنى (٢).

---

(١) سيد علي الايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص: ٢٠٧.

(٢) السيد علي ايازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم ٧٠٨.

خلاصة الدرس

إن أغلب المفسرين لديهم خطوات يقطعونها من أجل الانتهاء من كتابة تفسير الآية القرآنية تلك الخطوات تمثل مراحل عملية التفسير، وهذه الخطوات قد تكون واضحة في بعض التفاسير وقد لا تكون في أخرى. وهي تزداد وتقل بحسب عمق التفسير وبحسب الحاجة وبحسب الهدف المكتوب من أجله التفسير.

الأسئلة:

س١: ما هي خطوات التفسير؟

س٢: عدد خطوات التفسير عند الشيخ الطبرسي؟

الدرس السادس عشر: آفات التفسير

أهداف الدرس

- التعرف على نقاط الضعف في التفسير غيرالصحيح.
- التعرف على أسباب الخطأ في التفسير.

المحتوى العلمي

نقاط الضعف وعيوب التفسير غير الصحيح

المقصود من نقاط الضعف وعيوب التفسير غير الصحيح: هي الشروط والضوابط الّتي بمراعاتها يتجنِّب المفسّر الوقوع في التفسير بالرأي (واذا لم يعمل بها ولم يراعها)، وتستفاد هذه المعايير والضوابط من خلال تحليل أدلة التفسير بالرأي والآراء الّتي قيلت حوله. وسوف يعرف مواقع الزلل عند المفسّرين ضمن بيان هذه المعايير والضوابط.

أما أهم محاور هذه المعايير، فهي:

أوّلاً: عدم الالتفات إلى القرائن العقلية والنقلية في تفسير آيات القرآن: إذ لابدّ من الالتفات إلى هذه القرائن في تفسير القرآن؛ أي أنّه لابدّ من

التنبّه إلى حكم العقل القطعي، والآيات الأُخرى، والروايات المعتبرة وإلّا فإنّ المفسّر سوف يقع في التفسير بالرأي المحظور.

ويمكن اعتبار الموارد التالية من مصاديق هذا البحث:

ألف) عدم الالتفات إلى المخصِّصات والمقيّدات الموجودة في الآيات الأُخرى، وروايات النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في تفسير آيات الأحكام، والإفتاء دون رعاية هذه القرائن.

ب) تفسير القرآن على أساس الظهور الابتدائي دون مراجعة أقوال المفسّرين والقرائن العقلية والنقلية والمصادر التفسيرية الأُخرى.

ج) الذهاب إلى أحد الاحتمالات المتساوية في تفسير الآية علي أساس النظر الشخصي دون وجود قرينة على هذا الاحتمال.

د) الاستبداد والاستقلال بالرأي في تفسير القرآن.

ثانياً: تحميل الآراء الشخصية والمذهبية والجماعية على القرآن؛ فعلى المفسّر أن يجعل تفسيره موافقاً لظاهر الآية ولا يُحمِّل القرآن ما لا تتحمله الآية، ولأن هذا العمل سوف ينتهي به إلى التفسير بالرأي، وعادة ما يقع في هذا المحذور أصحاب التعصبات المذهبية والعقائدية.

ويمكن أن تكون الموارد التالية من مصاديق هذا البحث:

الف) تحميل النظريات العلمية غير الثابتة على القرآن.

ب) تحميل العقائد الشخصية على القرآن دون وجود أيّة مناسبة مع ظاهر الآية.

ج) تحميل العقائد المنحرفة للفرق والأحزاب على القرآن.

د) اختيار أحد الآراء السياسية والاقتصادية و. . . والبحث عن المؤيدات لهذه الآراء في القرآن، وعندما لا يجد آية تنطبق على هذه الآراء فإنّه يقوم بتأويل بعض الآيات علي خلاف معناها ليثبت رأيه.

هـ) فهم وتفسير الآية بصورة صحيحة وتطبيقها على مصاديق غير صحيحة، كما هو الحال في تطبيق الآيات علي بعض العقائد المنحرفة عند الفرقة البهائية و...

و) إظهار الرأي الشخصي بدلاً عن التفسير ونسبته إلى الله تعالى.

ز) تفسير القرآن على أساس هوى النفس.

ثالثاً: تفسير القرآن من قبل الشخص غير المتخصّص:

لابد أن يكون التفسير عن طريق أفراد متخصّصين في هذا المجال، (كما هو الحال في كل عمل تخصصي آخر)، بحيث يكون المفسّر عارفاً بالمصادر والضوابط وشروط التفسير، وأن تتوفر فيه الشروط اللازمة للمفسّر حتى يمكن أنْ يكون تفسيره تفسيراً معتبراً. [1] فإذا فقد المفسّر هذه

(١) من شروط المفسرين: معرفة علوم اللغة العربية (الصرف، النحو، اللغة، الاشتقاق، المعاني، البيان، والبديع)، المعرفة التاريخية والجغرافية (شأن النزول، تاريخ القرآن، تاريخ العرب والمسلمين) والمناخ الجغرافي الذي نزلت فيه الآية، معرفة علوم القرآن (مثل الناسخ والمنسوخ، المحكم والمتشابه، و...) علم الفقه والأصول، الاطلاع على أحاديث النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ والرجوع إليها، الاطلاع على القراءات القرآنية، المعرفة بعلم أصول الدين، الاطلاع على الآراء الفلسفية والعلمية والاجتماعية والاخلاقية، والاجتناب عن الآراء المسبقة، الاطلاع على التفاسير والممارسة لها، المنهج الصحيح في تفسير القرآن. أنظر: الكاتب: درآمدى بر تفسير علمى قرآن، ص ٦١ ــ ٧٣؛ السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٠٠ وما بعدها.

الشروط فإنّ منهجه يعتبر خاطئاً وتفسيراً بالرأي وإنْ كان صحيحاً.

والنماذج التالية يمكن أنْ تكون من مصاديق هذا البحث:

أ) تفسير القرآن بواسطة الأفراد غير المتخصّصين أمثال بعض الطلاب الذين لا يمتلكون الوسائل الكافية في التفسير.

ب) تفسير القرآن بواسطة بعض الأفراد الجهلة الذين لا يعرفون أنّ ما قالوه حقّاً أم باطلاً، ويفسّرون القرآن بغير علم وينسبون ذلك إلى الله بصورة قطعية.

ج) تفسير القرآن بواسطة أفراد يجهلون مناهج التفسير الصحيح ولا يعملون على طبقها.

وأمّا أسباب الخطأ الوهن في التفسير النقلي تعود إلى الأمور الثلاثة التالية:

أوّلاً: ضعف الأسانيد وإرسالها أو حذفها رأساً؛ مما يوجب القدح في التفسير بالمأثور.

ثانياً: كثرة الوضع والدسّ والتزوير في الحديث والتفسير، بما أوجب زوال الثقة به.

ثالثاً: كثرة الإسرائيليّات في التفسير والتاريخ بما شوّه وجه التفسير [١].

مثال:

---

(١) التفسير والمفسرون الشيخ محمد هادي معرفة، ج٢، ص: ٢٩.

تفسير الثعلبي

اسمه: الكشف والبيان في تفسير القرآن.

المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري.

خرج حديثا (١٠) مجلدات بتحقيق ابن عاشور وهو ضعيف التحقيق.

منهج المؤلف: ذكر أسانيد الصحابة خاصة في المقدمة وذكر أسانيد الأحاديث المرفوعة وخاصة في الفضائل.

المميزات:

١ـ تفسير جامع فيه تفسير الصحابة.

٢ـ أكثر من الاستنباط اللغوي والشواهد الشعرية.

٣ـ يكثر من ذكر الأحكام الفقهية ويتوسع.

العيوب:

١ـ أكثر من النقل عن الضعفاء والمجاهيل كمقاتل والكلبي.

٢ـ أكثر من النقل عن الإسرائيليات دون تعقب.

٣ـ أكثر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

خلاصة الدرس

المقصود من نقاط الضعف وعيوب التفسير غير الصحيح هي الشروط والضوابط الّتي بمراعاتها يتجنِّب المفسّر الوقوع في التفسير بالرأي (واذا لم يعمل بها ولم يراعها)،

الأسئلة:

س١: أذكر خمساً من عيوب التفسير غير الصحيح؟

س٢: أذكر أسباب الخطا في التفسير؟

س٣: أذكر نقاط الضعف في تفسير الثعلبي المعروف بـ (الكشف والبيان في تفسير القرآن)؟

الدرس السابع عشر: أهم التفاسير في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أهداف الدرس

الهدف العام للدرس هو التعرف على أهم التفاسير عند مدرسة أهل البيت ع، وأما الأهداف الخاصة:

١ـ التعرّف على تفسير مجمع البيان.

٢ـ التعرّف على تفسير نور الثقلين.

٣ـ التعرّف على تفسير الميزان.

٤ـ التعرّف على تفسير الأمثل.

المحتوى العلمي

إنّ من أهم مميزات التفسير عند أهل البيت عليهم السلام هو حجّية تفسير الأئمة الاثني عشر عليهم السلام واعتقادهم بعدم التحريف، واعتقادهم بعدم التجسيم، ولا الجبر ولا التفويض ولا يعتقدون بحجية تفسير الصحابة، ولا حجية تفسير أهل الكتاب ولا يذهبون إلى التشبيه ويعتقدون بعصمة الأنبياء عليهم السلام. ومن أبرز تفاسيرهم ما يلي:

أوّلاً: تفسير مجمع البيان

العنوان المعروف: مجمع البيان في تفسير القرآن.

المؤلف: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي.

ولادته: ولد في سنة ٤٦٨ هـ ـ ١٠٧٦ م، وتوفي في سنة ٥٤٨ هـ ـ ١١٥٤م.

مذهب المؤلف: شيعي إثنى عشري.

اللغة: العربية.

تاريخ التأليف: ٥٣٦ هـ

عدد المجلدات: ١٠ أجزاء في ٦ مجلدات.

طبعات الكتاب: طبع عدة مرات في ايران ومصر وبيروت وصيدا والعراق وسائر البلدان الإسلامية نشير إلى بعض منها:

طهران، المكتبة العلمية الاسلامية، سنة ١٣٣٨ هـ تصحيح وتعليق أبو الحسن الشعراني.

ومنها: طهران، سنة ١٣٨٢ هـ وهذه الطبعة تمتاز بمقدمة فيها ترجمة المؤلف وحاوية على فوائد أدبية وتاريخية وكلامية وتفسيرية.

ومنها: القاهرة، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية، بمقدمة الإمام الشيخ محمود شلتوت ١٢ جزءاً، حجم ٢٤ سم.

حياة المؤلف:

هو أمين الإسلام، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي الطوسي، الشيخ

الأجل، الأوحد، الأكمل، كان من نحارير علماء التفسير الشيعة الاثني عشرية، أصله من طبرستان، وقيل من تفرش (طبرس) من نواحي مدينة قم.

ولد في سنة ٤٦٨ هـ وقد عاش في خراسان في سبزوار والمشهد الرضوي من بلاد ايران.

وتوفى سنة ٥٤٨ هـ في ليلة النحر، ثم نقل نعشه إلى مدينة المشهد الرضوي المقدس، وقبره الآن أيضاً معروف بها.

تعريف عام

من أحسن تفاسير الشيعة وأشهرها، في غاية الإتقان وحسن الترتيب والتبويب، عمد مؤلفه إلى البحث عن اللغة والإعراب، وبيان النظم وسبب النزول، ثمّ فصّل المعنى تفصيلاً لم يكن فيه إطناب ممل ولا اختصار مخل. قدّم له وكتب حوله الإمام الاكبر الشيخ محمود شلتوت في مقدمة إحدى طبعات الكتاب فقال:

«إنّ هذا الكتاب نسيج وحده بين كتب التفسير، وذلك لأنّه مع سعة بحوثه وعمقها وتنوعها، له خاصية في الترتيب والتبويب والتنسيق والتهذيب. . .

«و من مزايا هذا التنظيم، أنه يتيح لقارئ الكتاب فرصة القصد إلى ما يريده قصداً مباشراً، فمن شاء أن يبحث عن اللغة عمد إلى فصلها المخصص لها، ومن شاء أن يبحث بحثا نحوياً، اتجه إليه، ومن شاء معرفة القراءات رواية أو تخريجاً وحجة، عمد إلى موضع ذلك في كل آية

فوجده ميسراً محرراً وهكذا».

ابتدأ قبل التفسير بمقدمة مفصلة في دوافعه لتأليف الكتاب ومنهجه، ومقدمة في علوم القرآن، فقال الطبرسي في سبب تأليفه هذا:

«قد كنت في عهد ريعان الشباب، وحداثة السن، وريان العيش، ونظارة الغصن كثير النزاع، قلق التشوق، شديد التشوف، إلى جمع كتاب في التفسير، ينتظم أسرار النحو اللطيفة، ولمع اللغة الشريفة، ويفي موارد القراءات من متوجهاتها، مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها. ويجمع جوامع البيان في المعاني، المستنبطة من معادنها، المستخرجة من كوامنها، إلى غير ذلك من علومه الجمة. مطلعة من الغلق والأكمة. فيعترض لذلك جوائح الزمان وعوائق الحدثان وواردات الهموم، وهفوات القدر المحتوم»

واعتمد في تفسير الكتاب على أقوال الصحابة والتابعين مثل، عبد اللّه بن عباس والحسن البصري، وقتادة بن دعامة ومجاهد بن جبر والجبّائي والسدّي وعبد اللّه بن مسعود وغيرهم.

ونقل كثيرا عن كتاب «التبيان» للشيخ الطوسي، بل تأثر به كثيرا حتى عبّر عنه:

«بقدوة استضيء بأنواره، وأطأ مواقع آثاره».

وأما غيره من أصحاب التفاسير، فلم يصرّح باسمائهم ولا كتبهم، وإن كان النقل والاستشهاد من التفاسير الشيعية والسنيّة كثير.

وأيضاً ذكر في مقدمة الكتاب بيان الفنون السبعة في تعداد آي القرآن

والفائدة في معرفتها، أسامي القراء المشهورين، ومعنى التفسير والتأويل وأسامي القرآن ومعانيها، وفي فضل القرآن وما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءته.

ثانياً: نور الثقلين

العنوان المعروف: تفسير نور الثقلين.

المؤلف: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي.

وفاته: توفي في سنة ١١١٢ هـ ١٧٠٠ م.

مذهب المؤلف: شيعي اثنى عشري.

اللغة: العربية.

عدد المجلدات: ٥.

طبعات الكتاب: ايران، قم، مطبعة الحكمة، الطبعة الاولى، سنة ١٣٨٣هـ حجم ٢٤ سم، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي.

وقم، المطبعة العلمية، الطبعة الثانية، (بدون تاريخ).

وستصدر قريبا طبعة جديدة مع مقدمة للسيد محمد باقر الحكيم.

حياة المؤلف:

هو الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، من العلماء والمحدثين الإماميين الاثني عشرية.

ولد في قرية «الحويزة» من قرى خوزستان الايرانية، ثم سكن في شيراز.

وهو معاصر للشيخ الحر العاملي صاحب: «وسائل الشيعة» والبحراني صاحب تفسير «البرهان». وهؤلاء العلماء يمثّلون اتجاها عاماً في الشريعة والفقه والحديث والأصول والتفسير لدى الامامية الاثنى عشرية يعرف بالاتجاه «الإخباري» المقارب لطريقة السلفية الظاهرية عند أهل السنة.

كان عالماً فاضلاً فقيهاً محدثاً ثقة ورعاً شاعراً اديباً جامعاً للعلوم والفنون، ومن تلاميذه السيد نعمة اللّه التستري الجزائري. ولم يثبت أصحاب التراجم، تاريخ ولادته، ولا ذكر خصوصيات من أحواله، ولكن يستفاد من كتابه أنّ الحويزي أحد الأعلام البارزين الذين عرفهم القرن الحادي عشر الهجري المهتمين بعملية جمع الأخبار وتدوينها.

توفي رحمه الله في شيراز سنة ١١١٢ هـ

تعريف عام

هو تفسير روائيّ اعتمد فيه مصنفه على المأثور من رواية الرسول الأكرم وأهل بيته الكرام ـ صلوات اللّه عليه وعليهم أجمعين ـ بطريقة تكشف عن سعة اطلاعه وكثرة تتبعه للمصادر المختلفة، مهّد الطريق للمحققين الذين يعملون في تحقيق النصوص واستخراج الصحيح منها وفرزها عن الروايات الضعيفة والمضطربة.

قال الحويزي في مقدمة تفسيره:

«و أمّا ما نقلت مما ظاهره يخالف لإجماع الطائفة المحقة، فلم أقصد به بيان اعتقاد ولا عمل، وإنّما اوردته ليعلم الناظر المطّلع كيف نقل وعمن نقل، ليطلب له من التوجيه ما يخرجه من ذلك، مع أنّي لم أخل موضعاً من

تلك المواضع عن نقل ما يضاده، ويكون عليه المعول في الكشف والإبداء».

ويعتبر هذا التفسير جهد علمي موفق لجمع الروايات ومفيد ونافع، مع الفطنة لاضطراب بعض الروايات الضعيفة، وهو أفضل مما جمعه السيد هاشم البحراني صاحب تفسير «البرهان».

قال العلامة الطباطبائي صاحب تفسير «الميزان» في مقدمة التفسير:

«إنه الكتاب القيم الذي جمع فيه مؤلفه شتات الأخبار الواردة في تفسير آيات الكتاب العزيز، وأودع عامة الحديث المأثور عن أهل بيت العصمة والطهارة ـ سلام اللّه عليهم ـ إلّا ما شذّ منها، ولقد أجاد في ضبطها وترتيبها والإشارة إلى مصادرها والجوامع المنقولة هي عنها، وبذل جهداً في تهذيبها وتنقيحها، جزاه اللّه عن العلم وأهله خيراً وهدانا بنور الثقلين».

وقد اعتمد في نقل الآثار والروايات من الكتب المعتبرة لدى الشيعة عن طريق أهل البيت عليهم السلام كالكتب الأربعة، وكتاب «التوحيد» للصدوق، وكتب أخرى للصدوق مثل «الخصال»، و«معاني الاخبار»، و«كمال الدين وتمام النعمة»، و«علل الشرائع»، و«تفسير العياشي» و«الاحتجاج» للطبرسي وغيرها من كتب الحديث.

هدفه في التأليف

قال الحويزي في مقدمة كتابه في بيان غرضه من تأليف هذا التفسير:

«إنّي لما رأيت خدمة كتاب اللّه، والمقتبسين من أنوار وحي اللّه؛

سلكوا مسالك مختلفة، فمنهم من اقتصر على ذكر عربيته ومعاني ألفاظه، ومنهم من اقتصر على بيان التراكيب النحوية، ومنهم من اقتصر على استخراج المسائل الصرفية، ومنهم من استفرغ وسعه فيما يتعلق بالإعراب والتصريف، ومنهم من استكثر من علم اللغة واشتقاق الألفاظ، ومنهم من صرف همته إلى ما يتعلق بالمعاني الكلامية، ومنهم من قرن بين فنون عديدة، أحببت أن اضيف إلى بعض آيات الكتاب المبين شيئاً من آثار أهل الذكر المنتجبين، ما يكون مبدياً بشموس بعض التنزيل، وكاشفاً عن أسرار بعض التأويل».

لكنّه أسقط أسانيد الروايات، وترك ذكر الآيات، ولذلك يصعب معرفة الأخبار المتعلقة بكل آية، وحذف كثيراً من متون بعض الروايات. ومع هذا استدرك محققه في طبعته الثانية بترقيم الآيات وتسويدها ليبرزها ويسهّل الاستفادة منها.

منهجه:

يحتوي تفسير الحويزي الكثير من روايات أهل البيت عليهم السلام الواردة في تفسير آي القرآن الكريم، أو التطبيق والجري على طريق الأئمة المعصومين من مصادر مختلفة، ولم يتكلم في تفسير ألفاظ الآية وإعرابها وقراءتها، ولا يشمل جميع القرآن، لأنّه لم يورد تفسير الكثير من الآيات، لعدم ورود الروايات الخاصة بتفسيرها، ومع فطنته والتفاته لبعض الروايات الضعيفة، إلّا أنّه أورد بعض الروايات التي لا يمكن الاستسلام لها، كما نقل عن التفسير

المنسوب لعلي بن إبراهيم في ذيل آية: إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها تفسيراً مشوهاً موهونا عن أبي عبد الله عليه السلام.

وكذلك نقل أخباراً مشتملة على الغلو والوهن والتطبيق والإسرائيليات، كما في قصة هاروت وماروت فبعد ذكره: أنّ الملائكة معصومون محفوظون من الكفر والقبائح، وعدم ثبوت صحة أنّ الزهرة كانت امرأة فمسخت، أورد الروايات والقصص الإسرائيلية الموضوعة التي تؤكد أنّ الملكين قد زنيا بالمرأة فمسخت، من دون ترجيح وتعين للصحيح من الضعيف.

وقد كتب عدد كبير من العلماء والباحثين من كبار علماء الإمامية. بحوثاً وكتباً في مناقشة هذا الاتجاه، ومن جملة هؤلاء الباحثين من المعاصرين العلامة السيد محمد باقر الحكيم، فانّه كتب مقالة في مقدمة هذا التفسير الذي يشرف على الصدور في طبعة جديدة، حيث قال في ذلك ما ملخصه:

«لا بد أن نسجّل بعض الملاحظات المهمة على الكتاب:

١ـ أنّ هدف [المؤلف] كان هو مجرد الجمع، ولذلك جاءت في الكتاب روايات غير مقبولة، وتتعارض في ظاهرها أحياناً مع ما أجمعت عليه الإمامية. وهذه النقطة تشكل ملاحظة كبيرة حول محتوى هذا الكتاب، حيث لا يمكن معرفة النتائج والمعتقدات والمواقف من خلاله، وإنّما يمثل مادة أولية للباحثين، قام المؤلف بجمعها وترتيبها وتسهيل تناولها.

وتضم هذه المادة الأولية روايات وأفكار وعقائد وتصورات مرفوضة أحياناً من قبل الباحثين من علماء الإمامية، أو مكذوبة وموضوعة على أئمة أهل البيت، أو تعرضت للخطأ والاشتباه.

٢ـ أنّ المصادر التي اعتمد عليها الكتاب، ليست على مستوى واحد من حيث الأهمية والثقة وحتى الزمان والعصر، وهذا يشكل خللاً مهماً في مثل هذه المجاميع والكتب، حيث نلاحظ من الضروري التعريف بهذه المصادر الزمنية، أو الوثاقة بين هذه المصادر، وبعضها مقطوع الإسناد، أو مجهول المؤلف، أو يكون راوي الكتاب كله من الكذابين... وقد وجدنا بعض الكتّاب والمؤلفين يتحاملون على مذهب أهل البيت عليهم السلام لمجرد وجود روايات يتضمن ظاهرها شيئاً يختلف عن مبتنياتهم العقائدية والفكرية، فينسبون كل ذلك إلى المذهب، مع أنّهم لا يتعاملون مع كتب الحديث في المذاهب الأخرى بهذه الطريقة، بالرغم من وجود روايات فيها دلالات وظهور، ومنافاة لأبسط العقائد والمسلمات الإسلامية، حيث لا يعتبرون هذه الروايات موقفاً مذهبياً، بل ينسبونه إلى العالم أو الراوي نفسه.

٣ـ إننا يجب أن ننظر إلى الكثير من الروايات التي وردت عن أئمة أهل البيت في تفسير القرآن ـ بعد تمحيصها العلمي، سواء على مستوى الدراية أو الرواية ـ أنّها من التفسير بالمعنى الواسع

ثالثاً: الميزان

العنوان المعروف: الميزان في تفسير القرآن.

المؤلف: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

ولادته: ولد في سنة ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م، وتوفي في سنة ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١م.

مذهب المؤلف: شيعي اثنى عشري.

اللغة: العربية.

تاريخ التأليف: ١٣٧٥ هـ

عدد المجلدات: ٢٠.

طبعات الكتاب: طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ والطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ والطبعة الثالثة ١٣٩٢ هـ

وبيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.

وقم المشرفة، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ)، ٢٠ جزءاً في ١٠ مجلدات، حجم ٢٤ سم.

حياة المؤلف:

هو السيد محمد حسين بن السيد محمد، المتصل نسبه بشيخ الاسلام الطباطبائي التبريزي، والمنتهي بالحسن المثنى ابن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

أحد رجال اللّه القلائل الذين يفتخر العقل الاسلامي المعاصر بعطائهم الفكري والعلمي، وهو أحد المفسرين المعاصرين للشيعة الاثني عشرية.

ولد في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م في مدينة تبريز الشهيرة بكثرة العلماء والأفذاذ فيها، وقد اشتهرت أسرته قديما بالفضل والعلم والرئاسة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشرة كلها من العلماء المعروفين في تبريز من مدن إيران.

بدأ رحلة العلم الطويلة في مسقط رأسه، تبريز، ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٤٣ هـ وأقام فيها مدة عشر سنوات، انكب أثناءها على تحصيل مختلف العلوم الإسلامية، حتى حاز بهذه الفترة الوجيزة درجة الاجتهاد، ثم عاد إلى مسقط رأسه، وبعد ذلك هاجر إلى قم واستقر فيها، بدأ نجمه بالظهور وذاعت شهرته في الآفاق لتتجاوز حدود ايران وخاصة على مستوى تدريس التفسير والفلسفة.

توفي في ١٨ محرم من عام ١٤٠٢ هـ وقد شيع تشييعاً مهيباً ودفن ببلدة قم في داخل الحرم الشريف لبنت موسى بن جعفر عليها السلام.

تعريف عام

يعدّ «الميزان» من أهم تفاسير الشيعة وأجمعها بعد مجمع البيان للطبرسي، ويعتبر أحد التفاسير الإسلامية للقرون الحديثة، وتجلت فيه العصرية بمفهومه الإسلامي، الذي يعني استيعاب إيجابيات العصر، فكانت ظاهرة بارزة فيه من حيث سعة التعاطي مع القضايا العصرية بأصالة فكرية متينة، قام عمله على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن، متمسكاً بقاعدة: «أنّ القرآن يفسر بعضه بعضا».

ومن مزاياه هذه الأبحاث الواسعة الشاملة، التي يوردها في تفسير بعض الآيات مستقصياً لأطراف القضية التي يبحثها، فمن ذلك مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (مائدة/ ١١٦) فقد جاء تفسيره لها في ١٣٧ صفحة...».

قد اعتمد المفسر على كثير من كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ واللغة وكتب أخرى، فتعرض لما فيها من آراء، مستعيناً ببعض منها في بيان معاني الآيات، وللنقد والتحليل للبعض الآخر، نذكر قسما من هذه المصادر لأهميتها ولكونها تعبّر عن واقع شخصيته التفسيرية بين اقوال المفسرين وآرائهم، فمن التفاسير:

١ـ جامع البيان للطبري.

٢ـ الكشاف للزمخشري.

٣ـ مجمع البيان للطبرسي.

٤ـ مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.

٥ـ أنوار التنزيل للبيضاوي.

٦ـ روح المعاني للآلوسي، وغيرها من التفاسير.

كما اعتمد في بيان اللغة على مجمع البيان والمفردات للراغب الأصفهاني والصحاح للجوهري ولسان العرب والقاموس المحيط، واستعان في نقل المأثور والأخبار على: تفسير الطبري والدر المنثور للسيوطي، والبرهان للبحراني، ونور الثقلين للحويزي، وغيرها من كتب الحديث.

قد ابتدأ قبل التفسير بمقدمة تعرض فيها لألوان التفسير، ومذاهب المفسرين، وتعريفه بها من زمن عهد الرسول ﷺ واختلاف المفسرين في التفسير من حيث مسالكهم الأثرية، والكلامية، والفلسفية، والصوفية، والعلمية، ثم بيّن لنا المنهج الحق الذي لا بدّ أن يتّبع،

منهجه:

وأمّا منهجه التفسيري، فهو في بداية تفسير كل سورة ينبّه على مكي الآيات ومدنيّها، ثم يبيّن غرضها الأساسي الذي عالجته، والأغراض التي تعرضت لها آياتها، مع اهتمام المفسر باستقلالية السور في مضامينها ومقاصدها، ثم يوزّع آيات السورة المراد تفسيرها على مقاطع قرآنية، وقد يكون المقطع آية واحدة أو بضع آيات، ثم يشرح في الآية معاني المفردات، المقتضية بياناً لغوياً بالقدر الذي يعين على بيان المعنى وكشف المقصود، ويذكر الإعراب والصور البلاغية في بيان نكتة أو فائدة، ويذكر أقوال المفسرين، ثم يبدأ بالنظر في الآية على مبدأ السياق الذي استخدمه المفسر في بيان المعنى.

ومن منهجه بشكل بارز، الاستعانة بمنهج تفسير القرآن بالقرآن في فهم كلام الله المجيد والوقوف على معانيه، وفي ضوء هذا المنهج، قام بتحديد جملة من المفاهيم القرآنية بمعارضة الآيات الناظرة لها بالنهج الموضوعي، وكذلك تعرض لأصول العقائد، والقصص القرآنية، ولم يعوّل على الروايات المتناقضة أو المتنافية مع العقل السليم.

رابعاً: الأمثل

العنوان المعروف: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

المؤلف: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

ولادته: ولد في سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٦ م.

مذهب المؤلف: شيعي اثنى عشري.

اللغة: العربية.

تاريخ التأليف: ١٣٩٥ـ ١٤١٠ هـ

عدد المجلدات: ٢٠.

طبعات الكتاب: الطبعة باللغة العربية، بيروت، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م، ٢٤ سم.

والطبعة باللغة الفارسية، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٦ إلى ١٤١٠ هـ ٢٧ مجلدا، ٢٤ سم.

حياة المؤلف:

هو العلامة الشيخ ناصر المكارم الشيرازي، من العلماء والمدرسين والباحثين النشيطين في الحوزة العلمية والدينية للشيعة الاثني عشرية ببلدة قم.

ولد في ٢٢ شعبان ١٣٤٧ هـ ببلدة شيراز من المدن المعروفة في ايران، وتدرج في سلم الدراسة الأكاديمية حتى الثانوية فيها، ثم اتجه إلى العلوم الدينية في مدارس شيراز، ثم رحل إلى مدينة قم، وأقام فيها واستفاد من

الاساتذة الكبار، منهم آية اللّه البروجردي، والعلامة الطباطبائي صاحب تفسير «الميزان» وغيرهما حتى نال درجة الاجتهاد.

وفي أثناء التحصيل، اشتغل بالتدريس والتأليف.

وكان من اهل التفنن في العلوم والمعارف الإسلامية، وصاحب تأليفات كثيرة، وأخذ على عاتقه الإجابة على الأسئلة الدينية في هذا العصر.

تعريف عام

كان التفسير أوّل ما كتب خلال خمس عشرة سنة (١٣٩٦ إلى ١٤١٠ هـ) باللغة الفارسية في ٢٧ مجلداً بالتعاون مع جمع من الأفاضل، وعلماء الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة حتى يستفيد عامة الناس من القرآن ويعود المسلمون إليه.

ولهذا كان التفسير عملاً جماعياً، والعلماء الذين عملوا في التفسير، هم:

الشيخ محمد رضا الآشتياني، والشيخ محمد جعفر الإمامي، والشيخ داود الإلهامي، والشيخ أسد اللّه الايماني، والشيخ عبد الرسول الحسنى، والسيد حسن الشجاعي، والسيد نور اللّه الطباطبائي والشيخ محمود العبداللهي، والشيخ محسن القراءتي، والسيد محمد المهري، ومن هذه الجهة تميز من بين التفاسير من حيث العمل الجمعي.

والتفسير شامل لجميع القرآن، سلس العبارة، قابل الفهم لعامة الناس، جمع فيه الوزين والمهم والمناسب ممّا جاء في تفسير كبار المفسرين، وأضاف إليه القضايا الجديدة المطلوبة من الأسئلة ومشكلات العصر.

أهدافه

قال الأستاذ مكارم في مقدمة تفسيره في دوافع تأليف التفسير «لكل عصر خصائصه وضروراته ومتطلباته، وهي تنطلق من الأوضاع الاجتماعية والفكرية السائدة في ذلك العصر، ولكل عصر مشاكله وملابساته الناتجة عن تغيير المجتمعات والثقافات، وهو تغيير لا ينفك عن مسيرة المجتمع التاريخية، المفكر الفاعل في الحياة الاجتماعية هو ذلك الذي فهم الضرورات والمتطلبات، وإدراك المشاكل والملابسات.

واجهنا دوماً أسئلة وردت إلينا من مختلف الفئات، وخاصة الشباب المتعطش إلى نبع القرآن عن التفسير الأفضل.

هذه الأسئلة تنطوي ضمنياً على بحث عن تفسير يبين عظمة القرآن عن تحقيق لا تقليد، ويجيب على ما في الساحة من احتياجات وتطلعات وآلام وآمال... تفسير يفيد كل الفئات، ويخلو من المصطلحات العلمية المعقدة.

منهجه:

وكانت طريقتهم في التفسير أن يبدؤوا بذكر اسم السورة وذكر خصائصها، والجو العام للسورة وسياقها، وما يرتبط بها من الأهداف العامة وتناسبها، وبيان أهميتها وما تحويها من الموضوعات والبحوث المهمة، والتعليل لبيان اسم السورة، والخصوصيات الواردة في السورة في التفاسير.

ثمّ يبينون الجو العام الذي نزلت فيه السورة والآية، والإشارة إلى مضمون الآية بياناً وتحليلاً، مع سلاسة البيان وجزالة العبارة، ثم يشيروا إلى

المسائل الحيوية المادية والمعنوية، وخاصة المسائل الاجتماعية المرتبطة بالآية، بدلاً من المباحث الأدبية والبلاغية والعرفانية. وفي ذيل كل آية يتعرض للمباحث الموضوعية تحت عنوان:

«بحث» المناسب للمسائل المطروحة في الآية، كالربا والرّق، وحقوق المرأة، وغيرها.

والمقصود المهم عند نظر المؤلّف والمشاركين معه بيان المعاني للكلمات وإعطاء فهم صحيح للقرآن، ولو بنقل الحديث، أو أسباب النزول الذي ممّا له تأثير في الفهم الدقيق لمعنى الآية، مع الاجتناب عن تناول البحوث ذات الفائدة القليلة.

وقد تعرضوا للأحكام بشكل مختصر وعدم التوسع في الفروع والأقوال، وإن كانوا يعتنون بأسرار الحكم وفلسفته.

وأما التفاسير التي اعتمدوا عليها فهي: مجمع البيان، والجامع لأحكام القرآن، والميزان، والمنار، و(تفسير نور الثقلين)، و(التفسير الكبير) للفخر الرازي، و(في ظلال القرآن)، و(تفسير المراغي)، وغيرها من التفاسير، مع تأييد وترجيح أو نقد للأقوال.

أمّا بالنسبة إلى اتجاههم في التفسير العلمي، فإنّهم ممن يميلون إلى التفسير العلمي، ويحرصون إلى التفكير في آياته لما تضمنه من الإشارة إلى أسرار الخلق وظواهر الطبيعة، ووجه من وجوه إعجاز القرآن، إذ فيها معرفة حقائق تأخر العلم في الكشف عن معرفتها عدّة قرون[1].

(١) تم تجميع هذا الدرس من كتاب المفسرون للسيد علي ايازي.

خلاصة الدرس

إنّ من أهم مميزات التفسير عند أهل البيت عليهم السلام هو حجّية تفسير الأئمة الاثني عشر عليهم السلام واعتقادهم بعدم التحريف، واعتقادهم بعدم التجسيم ولا الجبر لا التفويض ولا يعتقدون بحجية تفسير الصحابة، ولا حجية تفسير أهل الكتاب ولا يذهبون إلى التشبيه ويعتقدون بعصمة الأنبياء عليهم السلام.

الأسئلة:

س١: وضح لنا ما تعرفه عن تفسير "مجمع البيان".

س٢: وضح لنا ما تعرفه عن تفسير " الأمثل".

الدرس الثامن عشر: التعرف على أهم التفاسير عند مدرسة أهل السنة

أهداف الدرس

الهدف العام للدرس هو التعرف على أهم التفاسير عند مدرسة أهل السنة، وأما الأهداف الخاصة:

١ـ التعرّف على تفسير روح المعاني.

٢ـ التعرّف على تفسير في ظلال القرآن.

٣ـ التعرّف على تفسير الدر المنثور.

٤ـ التعرّف على تفسير الجامع لأحكام القرآن.

المحتوى العلمي

إنّ من أهم مميزات التفسير عند أهل السنة هو عدم حجية تفسير جميع الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام واعتقادهم بعدم التحريف، واعتقادهم التجسيم والجبر والتفويض ويعتقدون بحجية تفسير الصحابة، وحجية تفسير أهل الكتاب ويذهبون إلى التشبيه ويعتقدون بعدم عصمة الأنبياء عليهم السلام. ومن أبرز تفاسيرهم ما يلي:

أولاً: روح المعاني

العنوان المعروف: تفسير روح المعاني.

المؤلف: أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي.

ولادته: ولد في سنة ١٢١٧ هـ ـ ١٨٠٢ م، وتوفي في سنة ١٢٧٠ هـ ١٨٥٤ م.

مذهب المؤلف: الحنفي الأشعري.

اللغة: العربية.

تاريخ التأليف: ١٢٦٣ هـ

عدد المجلدات: ٣٠ جزءا في ١٥ مجلدا.

طبعات الكتاب: الطبعة الأولى، القاهرة، بولاق، سنة ١٣٠١ هـ

الطبعة الثانية، في بغداد، ثم في مصر، ادارة الطباعة المنيرية، ٣٠ جزءا في ١٠ مجلدات، سنة ١٣٥٣ هـ

وقد أعيد طبعه بالأفست على طبعة إدارة الطباعة المنيرية في مصر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى، سنة ١٤٠٥ هـ حجم ٢٤ سم.

وطبع بالأفست أيضاً على نفس الطبعة السابقة بحجم ٢٨ سم.

حياة المؤلف:

هو العلامة المحقق، أبو الفضل أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الآلوسي

البغدادي. كان مولده في جانب الكرخ من بغداد سنة ١٢١٧ هـ أخذ العلم عن العلماء الأعلام وعلى رأسهم والده وكان من العلماء الكبار.

كان حرصه على العلم وما وهبه الله من قدرة على التحصيل وتمكن من الفهم.

ابتدأ النشاط العلمي الزاخر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ودرس في عدة مدارس، وكان حريصاً على تبليغ العلم، كما كان حريصاً على جمعه.

فكان يشجّع طلاب العلم ويواسيهم بما يملك، ويقدم لهم ما يستطيع من وسائل المعيشة ومتطلباتها ليتفرغوا للبحث والتحصيل.

كان الآلوسي عالماً باختلاف المذاهب، مطّلعاً على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، حنفي المذهب، خلّف كثيراً من المؤلفات المفيدة فضلاً عن تفسيره المشهور.

توفي في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة ١٢٧٠ هـ ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ الكرخي.

تعريف عام

كان تفسير روح المعاني من أوسع التفاسير الموجودة وأبسطها، قد جمع فيه كل ما سبقه من التفاسير وحواشيها، ولا سيّما تفسير الكشاف وحواشيه، فتراه ينقل عن كثير من مفسري القرآن، وقد حلّ بعض رموز كلماتهم ورموز الآيات وعباراتهم الخفية التي استعصى فهم المراد منها على العلماء، ويجعل نفسه نقاداً مدققاً على كلماتهم، ثمّ يبدي رأيه حراً

فيما ينقل، وأيضاً له استدراكات قيمة وتعقبات دقيقة لآرائهم، ومن هذه الجهة ليس مجرد ناقل، بل له شخصيته العلمية البارزة وأفكاره النيّرة، والشاهد على ذلك تعرضه لكثير ما ينقله عن أبي السعود والبيضاوي وأبي حيان والكشاف وغيرهم في آرائهم البلاغية والأدبية، كما ترى يتعقب الفخر الرازي في كثير من المسائل، ويرد عليه على الخصوص في بعض المسائل الفقهية، انتصاراً منه لمذهب أبي حنيفة.

ومن جهة أخرى يمكن أن يقال: «إنّ تفسير الآلوسي هو أعظم تفسير ظهر بعد الرازي على الطريقة القديمة؛ بل يكون نسخة ثانية من تفسير الرازي، مع بعض الزيادة والنقصان، إذ كل من قرأ تفسير الآلوسي يثبت عنده أنّه اعتمد تفسير الرازي مصدراً مهمّا من مصادره».

وقال الدكتور محسن عبد الحميد في موضع آخر:

«إنّ تفسير الآلوسي جمع لنا المادة الأساسية المهمة من جميع التفاسير المتقدمة، ومن كتب التراث الاسلامي المتنوعة، بحيث لا يمكن في أغلب الاحيان للباحث أن يطلع عليها جميعاً. . . [و مع هذا] أنّ الآلوسي لا ينقل الآراء فقط، وإنّما ينصب نفسه حكماً عدلاً إلى حد كبير بين الآراء مناقشاً ومنقداً ومرجّحاً».

والآلوسي أشعري المذهب، سني العقيدة، حنفي الفقه، ولهذا تراه كثيراً ما يتهجم على آراء المعتزلة والشيعة، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه.

قدّم الآلوسي لكتابه بمقدمة مهمّة بيّن فيها منهجه وحدّد فيها سبب تأليفه له، وألمح إلى بعض مظاهر حياته وجوانب شخصيته، فقال في ذلك ما ملخصه:

«و إني ولله المنة مذ ميطت عني التمائم ونيطت على رأسي العمائم، لم أزل متطلباً لاستكشاف سره المكتوم... وأنا مع حداثة سني، وضيق عطني، لا تغرني حالهم، ولا تغيّرني أفعالهم... حتى وقفت على كثير من حقائقه، ووفقت لحلّ وفير من دقائقه، ... وقبل أن يكمل سني عشرين... شرعت أدفع كثيرا من إشكالات الإشكال، وأدفع وأتجاهر بما ألهمنيه ربي مما لم أظفر به في كتاب من دقائق التفسير...

ولست أنا أوّل من منّ اللّه تعالى عليه بذلك، ولا آخر من سلك في هاتيك المسالك... وكانت كثيرا مما تحدثني في القديم نفسي، أن أحبس في قفص التحرير ما اصطاده الذهن بشبكة الفكر، أو اختطفه باز الالهام في جو حدسي، فأتعلل... إلى أن رأيت في بعض ليالي الجمعة من سنة ١٢٥٢هـ رؤية... أن اللّه جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بطي السموات والارض، ورتق فتقهما على الطول والعرض، فرفعت يداً إلى السماء، وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء.

ثم انتبهت من نومتي، وأنا مستعظم رؤيتي، فجعلت أفتش لها عن تعبير، فرأيت في بعض الكتب أنها إشارة إلى تأليف تفسير، فرددت حينئذ على النفس تعللها القديم، وشرعت مستعينا باللّه تعالى العظيم... وكان الشروع

في الليلة ١٦ من شعبان المبارك ١٢٥٢ هـ وهي السنة ٣٤ من سني».

ثمّ شرع الآلوسي بمقدمات لها عدة فوائد وهي:

١ـ في معنى التفسير والتأويل.

٢ـ فيما يحتاجه التفسير، ومعنى التفسير بالرأي، وحدود جوازه، وحكم السادة الصوفية في القرآن، من باب الإشارات إلى الدقائق تنكشف على أرباب السلوك.

٣ـ في أسماء القرآن.

٤ـ في تحقيق معنى أنّ القرآن كلام اللّه تعالى غير مخلوق، وما يتعلق بصفته.

٥ـ في بيان المراد بالأحرف السبعة.

٦ـ في بيان وجه إعجاز القرآن.

وقد مكث الآلوسي في تأليف كتابه خمس عشرة سنة.

منهجه:

كان منهجه أن يبدأ أولاً باسم السورة مكيّها ومدنيّها، ويذكر الأقوال التي وردت فيها، مع ترجيح لأحد الاقوال، ثمّ يذكر فضل السورة وخواصّها، ثمّ يشرع في تفسير السورة آية آية وكلمة كلمة. ويتعرض إلى اللغة والأدب والقراءات، وفي القراءات لا يتقيد بالمتواتر منها، كما أنّه يهتم بإظهار وجه المناسبات بين السور، وكذلك بيّن المناسبات بين الآيات، ويذكر أسباب النزول للآيات التي أنزلت لسبب معين.

كان الآلوسي، كثير الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعاني اللغوية.

ثانياً: في ظلال القرآن

العنوان المعروف: في ظلال القرآن.

المؤلف: سيد بن قطب بن إبراهيم.

ولادته: ولد في سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م، وتوفي في سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٥ م.

مذهب المؤلف: السني الأشعري.

اللغة: العربية.

تاريخ التأليف: ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م.

عدد المجلدات: ٦ مجلدات.

طبعات الكتاب: الطبعة الاولى، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، وصدر الجزء الأول منه في اكتوبر عام ١٩٥٢ م ثم بعده صدرت الأجزاء الأخرى.

الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٢ هـ صورة طبق الأصل عن الطبعة الأولى.

الطبعة الثالثة، بيروت دار الشروق، تصحيح محمد قطب، وهي طبعة منقحة.

وقد بدأ إصدارها في أواخر الخمسينات، ووصل فيها في عام ١٩٦٥ م

إلى نهاية الجزء الثالث عشر وكان في نيته أن يتناول باقي الأجزاء بالتنقيح، لكن الطغاة قضوا عليه قبل تحقق هذه النية.

حياة المؤلف:

هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسين الشاذلي، ولد في قرية موشا في سنة ١٣٢٦ هـ من محافظة أسيوط.

نشأ في بيئة اسلامية، كان والده رجلاً مؤمناً تقياً، تلقى دراسته الأولية في القرية، وبعد القضاء على ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩ م، ضد الاحتلال الانجليزى، رحل من قريته إلى القاهرة.

تخرج من كلية دار العلوم عام ١٩٣٣ م حاصلاً على شهادة الليسانس في الآداب.

التحق بعد تخرجه من الكلية بوظيفة في وزارة المعارف، ولكنه بعد خمس عشرة سنة استقال منها.

اعتقل عام ١٣٦٥ هـ وبقى في السجن ثلاثة عشر شهراً، ثمّ اعتقل مرة ثانية في سنة ١٣٧٤ هـ

استشهد قبل بزوغ فجر يوم الإثنين من ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٨٦هـ

تعريف عام

تفسير فريد من نوعه، معاصر، قد احتل مكانة بارزة عند المسلمين من حيث منهجه الحركي، يلبي حاجات الناس في هذا العصر. وقد تأثر بمنهجه الحركي الكثير من المفسرين.

اهتم المفسر ببيان التناسب الموضوعي في موضوعات السّورة، والتنسيق الفني في صياغتها وأساليب عرضها.

لم يذهب إلى التعرض للفرق الكلامية والخوض فيها، بل كانت مهمته مهمة القرآن الحركية الواقعية الجديدة في حياة المسلمين وهدايتهم، ومن هذا لا يعتبر الظلال تفسيراً فقط، بل يعدّ منهجاً للتربية، وكتاب دعوة وبياناً للطريق، ولهذا قال سيد قطب في مقدمة التفسير:

«الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها الّا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه... لقد عشت أسمع الله ـ سبحانه ـ يتحدث إلى بهذا القرآن... أنا العبد القليل الصغير... أيّ تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل؟ أيّ رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أيّ مقام كريم يتفضل به على الأنسان خالقه الكريم.

وعشت في ظلال القرآن ـ أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة... وعشت في ظلال القرآن ـ أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها اللّه وحركة هذا الكون الذي أبدعه اللّه...».

وتعدّ مقدمة التفسير في الواقع من جهة شدة تأثره بالقرآن الكريم، ومن جهة بياناً لمنهجه التربوي والحركي في التفسير، وبياناً لكيفية تفسيره من حيث تبيين كلام اللّه، والإطار العام الذي تعقب فيها من دون احتياج إلى تصريحها، وذكر قواعدها. كما تتوضح من مقدمة الكتاب والآيات التي

فسّرها، جملة الأهداف والدوافع التي دعته لتأليف هذا الكتاب، وجعلها الأساس الذي بنى عليه تفسيره، فإنّه يظهر ممّا تقدم أنّ أهدافه من خلال هذا التفسير تتلخص بما يلي:

١ـ إزالة الفجوة العميقة بين المسلمين المعاصرين، وبين القرآن الكريم، و«الظلال» وسيلة لتقريبهم إليه.

٢ـ تعريف المسلمين المعاصرين على المهمة العملية الحركية للقرآن الكريم، وبيان طبيعة الحمية الجهادية.

٣ـ تزويد المسلم المعاصر بدليل عمل مكتوب إلى سمات الشخصية الإسلامية المنشودة.

٤ـ تربية المسلم تربية قرآنية إسلامية متكاملة.

٥ـ بيان معالم الطريق الذي تسلكه الجماعة المسلمة إلى ربّها.

٦ـ بيان الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم فعلى هذا إنّه يعطي القارئ صورة عن الأهداف التي سبق ذكرها عن سبب تأليفه للتفسير.

منهجه:

لقد تطور منهج سيد قطب في نظرته إلى القرآن وتفسيره وتعامله معه بحسب اهتمامات صاحبه بين الطبعتين الأولى والمنقحة، ويستخلص من ذلك:

١ـ أنّ منهج سيد قطب في شروع التفسير ذكر قطعة من الآيات، ثمّ بيان الجو العام من السّورة والملابسات التاريخية لنزولها، أو الحقائق التي تعمها،

والأهداف التي تحققها السّورة أو الآية التي تعقب فيها، وفي ضمنها، بيان فضلها، وسبب نزولها، وتناسبها لما قبلها، وذكر خصوصيات أخرى للسّورة والآية، ثم يرجع مرة ثانية لتفسير جملة من الآية بالشرح البياني والإشارة الحركية والتربوية، وأحيانا يذكر الآثار الواردة في تفسير الآية.

٢ـ كما ذكرنا أنّ منهجه منهج فكري، حركي تحليلي في تفسيره، فهو حريص على ألّا يغرق القارئ في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية، وإنّما يدور فيه حول النص القرآني، ويسجّل ما يوحيه القرآن من خواطر روحية أو اجتماعية أو إنسانية.

٣ـ في أوائل كل سورة يبيّن مسائل حول تعريف السّورة تعريفاً شاملاً موضوعياً، بلاغياً، فنياً، حركياً وتاريخياً، وهو في هذا التعريف والتقديم، يعطى القارئ صورة مجملة وافية عن السّورة التي يقرؤها.

٤ـ كذلك يقارن بين السّورة المكية والمدنية من حيث طبيعة كل منهما وموضوعاتها.

٥ـ يقسم السّور إلى دروس، تقسيماً موضوعياً، فكل درس يعتبر وحدة موضوعية مكونة من مقاطع جزئية.

٦ـ تحذيره من الاسرائيليات، وترك الاختلافات الفقهية والإغراق في المسائل اللغوية، بل الكلامية والفلسفية والخلافات المذهبية.

٧ـ الاجتناب عن التفسير العلمي بأن تذكر جزئيات من علوم الطب والكيميا والفلك، ليعظموه بهذا ويكبّروه.

ثالثاً: الدر المنثور في التفسير بالمأثور

العنوان المعروف: الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

المؤلف: جلال الدين، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

ولادته: ولد في سنة ٨٤٩ هـ ١٤٤٥ م، وتوفي في سنة ٩١١ هـ ١٥٠٥م.

مذهب المؤلف: الشافعي الأشعري.

اللغة: العربية.

تاريخ التأليف: ٨٩٨ هـ

عدد المجلدات: ٨

حياة المؤلف:

هو الامام الحافظ جلال الدين أبو الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي.

ولد سنة ٨٤٩ بالقاهرة وتوفي والده وهو صغير.

ينتمي إلى أسرة كانت مستقرة في مدينة أسيوط منذ عدة أجيال، وربما كان أصل هذه الأسرة من المشرق، إذ انحدرت من أسرة فارسية كانت تعيش أوّل الأمر في بغداد، ثم استقرت في أسيوط قبل مولده، ثمّ رحل والده إلى القاهرة.

كان السيوطي، صاحب ذاكرة قوية وجدّ واجتهاد منذ صغره، فحفظ القرآن الكريم وما بلغ الثامنة من عمره بعد، ودرس على مشايخ وتتلمذ على أساتذة.

لقد كان قمة من القمم التي كانت خصباً في التأليف، وكتبه بلغ تقديرها أكثر من خمسمائة، مشتملة على فوائد لطيفة، وفوائد شريفة، تشهد كلها بتبحره وسعة نظره ودقة فكره.

وقد توفي يوم الخميس التاسع من شهر جمادي الأولى سنة ٩١١ هـ في القاهرة ودفن بها في مقبرة قوصون.

تعريف عام:

قد ألف السيوطي تفسيراً سمّي ب «مجمع البحرين ومطلع البدرين» ـ وان لم يعلم اتمامه ـ الجامع لجميع ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة والاقوال المقولة والاستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات، بحيث لا يحتاج بنظره معه إلى غيره أصلاً، وجعل الإتقان مقدمة لكتابه ولكنّه بعد هذا لم يقتنع، وقد جمع كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة، فيه بضعة عشر الف حديث ما بين مرفوع وموقوف وسماه بـ «ترجمان القرآن» وبعد ذلك قد ألّف تفسير «الدّر المنثور في التفسير بالمأثور» على أساس تفسير «ترجمان القرآن» وخلاصته؛ لأنّه قال في مقدمة تفسيره:

«فلما ألّفت كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ واصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة منها، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث، دون الأسناد وتطويله، فلخّصت منه هذا المختصر، مقتصرا فيه على متن الأثر، مصدّراً

بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسميته: بالدر المنثور في التفسير بالمأثور»

منهجه:

طريقته في التفسير هو أن يبدأ بالمأثورات من محل نزول السورة وفضلها، وفضل قراءتها، ثم ذكر المأثورات الواردة في قراءة الآية وتفسيرها.

كان «الدّر المنثور» هو أجمع كتاب للتفسير بالمأثور عند أهل السنة حذفت أسانيده، لم يبد فيه الإمام السيوطي رأياً، ولم يقل فيه كلمة مفسرة، أو جملة شارحة، إلّا ما أضاف إلى ذلك كلّه شذرات لغوية متفرقة نثرها بين تضاعيف الكتاب، وذلك مما استعمله القرآن، وهو غير شائع في الجزيرة العربية. وأيضاً نقل في تفسيره الروايات المختلفة في القراءات المتعددة للآية الواحدة، كما وردت عن الصحابة وأشهر المقرئين.

وإنّما التزم السيوطي التزاماً كاملاً أن يكون تفسيره جامعاً لأحاديث الرسول، والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين، وهو في جمعه لم يلتزم صحة الأحاديث والنقل، ولهذا لم يبين لنا منزلتها من الصحة أو الحسن، أو الضعف أو الوضع، وقلّما ينبّه إلى ذلك مشيراً إلى ضعفها أو خصوصياتها، ويا ليته بيّن ذلك، وليس كل قارئ للكتاب يمكنه أن يعرف ذلك بمجرد ذكر السند، ولا سيما في عصرنا هذا.

ولقد أخذ السيوطي رواياته عن البخاري ومسلم والنسائي والترمذي

وأحمد وأبي داود وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم ممن تقدمه في نقل الأحاديث التفسيرية.

والذي يظهر من التفسير أنّه من المحدثين الذين يرون أنّ إبراز السند يخلي من العهدة والتبعة، وإلّا لم ينقل في الكتاب الإسرائيليات والموضوعات والقصص التي تنافي عصمة الأنبياء. فلهذا يحتاج الكتاب إلى تصفية وتبيين موضع الصحيح من العليل، وتمييز الغث من السمين كما في أكثر الكتب التفسيرية الأثرية.

ونموذج مما ذكره من القصص والإسرائيليات ممّا يتنافى مع الأدلة والعقل السليم هو ما ذكره في قصة هاروت وماروت، وفي قصة الذبيح، وإنه إسحاق، وفي قصة يوسف، وفي قصة داود وسليمان، وفي قصة الياس، وأسرف في ذكر المرويات في بلاء أيوب عليه السلام، ومعظمه مما لا يصح ولا يثبت، وإنّما هو من إسرائيليات بني إسرائيل، وأكاذيبهم على الأنبياء.

رابعاً: الجامع لأحكام القرآن

العنوان المعروف: الجامع لأحكام القرآن المعروف ب «تفسير القرطبي».

المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

ولادته: ولد في سنة ٥٨٠ هـ ١١٨٤ م، وتوفي ٦٧١ هـ ١٢٧٣ م.

مذهب المؤلف: المالكي الأشعري.

اللغة: العربية.

عدد المجلدات: ٢٠.

طبعات الكتاب: طبع عدة طبعات منها:

طبعة بتصحيح أحمد عبد العليم البردوني، سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م.

وبيروت، دار احياء التراث العربي ودار الكتاب العربي، سنة ١٩٦٧ م، في ٢٠ مجلدا، الحجم ٣٠ سم.

وبيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٨ هـ في ٢٠ مجلدا مع الفهارس.

والقاهرة، دار الغد العربي، الطبعة الاولى، سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م، في ١٠ مجلدات، الحجم ٢٤ سم، تحقيق المجمع الاسلامي بالأزهر الشريف.

حياة المؤلف:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فراح... الانصاري الخزرجي القرطبي من أهل قرطبة.

نشأ في كنف أبيه الذي كان يشتغل بالزراعة في عصر الموحدين (تقريبا ٥٨٠ـ ٥٩٥). وعند ما بلغ القرطبي من العمر حداً يسمح بتلقى التعليم، تعلم العربية والشعر إلى جانب تعلمه القرآن، واستمر هو يدرس ويدرّس إلى أن قدم إلى مصر بعد ما تلقّى بها ثقافة واسعة في الفقه، والنحو، والقراءات، ودرس البلاغة وعلوم القرآن واللغة؛ وتتلمذ في مصر عند ابن الجميزي علي بن هبة اللّه، والحسن البكري.

وقد توفي في ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ هـ بالقاهرة، وله

قبر يزار ويتبرك به ب «المينا» بشرق النيل، وقد تمّ في سنة ١٩٧١ م بناء مسجد كبير يحمل اسم القرطبي، ويضم هذا المسجد ضريحاً نقل رفات القرطبي إليه من الضريح القديم.

تعريف عام:

يعدّ التفسير من أوسع تفاسير القرآن، الذي توسع في الأحكام الفقهية، وذكر مؤلفه كثيراً من الخلافات المذهبية، مع أنّه موسوعة عظيمة حوت كثيراً من العلوم الإسلامية من الإعراب والقراءات والأصول والناسخ والمنسوخ وغيرها، أسقط منه القصص والتواريخ والبلاغة.

كان مالكياً تعرض للفقه على أساس مذهبه وناقش كثيراً المذاهب الأخرى، تأثر بابن عطية في كثير من المجالات.

ابتدأ في مقدمة تفسيره بمقدمات مبسوطة في فضائل القرآن والترغيب فيه وكيفية التلاوة، وتحذير أهل القرآن من الرياء، والمراتب التي ينبغي لحامل القرآن أن يبلغها، وفي إعراب القرآن وتعليمه، وما جاء في فضل تفسير القرآن، وما جاء في حامل القرآن وما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيمه وحرمته، وما جاء من الوعيد في التفسير بالرأي، وتبيين الكتاب بالسنة، وباب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله، ومعنى أنّ: «القرآن نزل على سبعة أحرف»، وباب ذكر جمع القرآن وما جاء في ترتيب سور القرآن وآياته، ومعنى السورة والآية، وفي إعجاز القرآن وشرائط المعجزة، وفيما جاء من الحجة في الردّ على من طعن في القرآن.

وقال في بيان غرضه من تأليف الكتاب:

«رأيت أن اشتغل به مدى عمري، واستفرغ فيه نيّتي؛ بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات؛ والرّد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات. . .

وعملته تذكرة لنفسي، وذخيرة ليوم رمسي، وعملاً صالحاً بعد موتي».

منهجه:

كان منهجه إذا ابتدأ بتفسير الآية أن يذكر الآية، ثم إعرابها ووجوه من القراءات والمرويات من طرق التابعين وغيرهم، وبعض ما لا يبالي في النقل كوهب بن منبّه وكعب الأحبار وغيرهما، ثم تفسير الآية ويذكر الأقوال التي فيها، ويذكر آيات الاحكام مع طرحه للمباحث الفقهية والتوسع فيها.

كان القرطبي سنّياً أشعرياً ينتصر لمذهب أهل السنة، ويدافع عنه، وأنّه لم يقتصر على مهاجمة المعتزلة، بل تعرض للهجوم على كثير من الفرق السياسية والدينية.

لقد استفاد القرطبي من مؤلفات كثير من المفسرين وغيرهم، وكان موقفه من هؤلاء أن يعرض آراءهم، ويعزوها إلى من ينقلها، وقد يتعقبها ويناقشها ويرد بعضها.

ومن هذه المؤلفات: «إعراب القرآن» و«معاني القرآن» للنحاس، وكتاب «التحصيل لفوائد التفصيل»، للمهدوي (المتوفى ٤٣٠ هـ)، الذي

كان استاذاً لابن عطية، وتفسير «النكت والعيون» للماوردي، و«تفسير النقاش» (المتوفى سنة ٣٥١ هـ) و«المحرر الوجيز» لابن عطية، و«أحكام القرآن» لكياهراسي (المتوفى ٥٠٤ هـ) و«أحكام القرآن» لابن العربي (المتوفى ٥٤٣ هـ) وتفسير مكي بن ابي طالب المسمى ب «الهداية إلى بلوغ النهاية» في علم معاني القرآن وتفسيره، و«مشكل إعراب القرآن»، وكثير من كتب القراءات.

وكان القرطبي يكثر الاستشهاد بأشعار العرب وربما يحتكم إلى معاني اللغة في تفسير بعض آيات.

وكانت طريقته في التفسير أنه يخرج الأحاديث ويعزوها إلى من رواها من الأئمة غالباً، كما أنه صان كتابه عن الإكثار من ذكر الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة، كما أنّه إذا ذكر بعض الإسرائيليات والموضوعات ممّا يخل بعصمة الملائكة، أو الأنبياء، أو يخلّ بالاعتقاد، فإنّه يكر عليها بالإبطال، أو يبين أنّها ضعيفة، وذلك كما فعل في قصة هاروت وماروت، وقصة داود وسليمان، وقصة الغرانيق، وقصة زواج النبي بالسيدة زينب بنت جحش».

ومنهجه في اللغة، أنّه استخدم كثيراً من المباحث اللغوية في توضيح الآيات، ومنها بحث الاشتقاق والاشتراك والاطلاق والتقييد، وأنّه قد احتكم إلى اللغة في كثير من المجالات، فاحتكم إليها في مهاجمة المعتزلة وفي مناصرته لبعض المذاهب الفقهية، ولترجيح بعض القراءات، كما اتجه في تفسيره إلى النحو.

وعند ما تناول البلاغة في تفسيره فإنّه كان لا يتوسع في الأسرار البلاغية، لأنّ الأندلسيين لم يهتمّوا بهذه الدراسة.

مال القرطبي في تفسيره إلى التفسير بالرأي واتخذه منهجاً في ذلك، ولم يهمل التفسير بالمأثور، بل بيّن أنه الأساس الذي يرتكز عليه المفسر، ثم بيّن أنّه التزم منهجاً موفقاً في التفسير المأثور عن رسول اللّه «ص».

أمّا عن موقفه من التفسير المأثور عن الصحابة فبيّن أنّه كان لا ينتقل إليه بعد التفسير المأثور عن رسول اللّه «ص»، بل كان يجمع بين أقوال الصحابة والتابعين، وغيرهم من المفسرين، ويقارن بين هذه الأقوال جميعاً، ويختار منها ما تؤيده الأدلة والقرائن(١).

خلاصة الدرس

إنّ من أهم مميزات التفسير عند أهل السنة هو عدم حجية تفسير جميع الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام واعتقادهم بعدم التحريف، واعتقادهم التجسيم والجبر والتفويض ويعتقدون بحجية تفسير الصحابة، وحجية تفسير أهل الكتاب ويذهبون إلى التشبيه ويعتقدون بعدم عصمة الأنبياء عليهم السلام.

الأسئلة:

س١: وضح لنا ما تعرفه عن تفسير "في ظلال القرآن".

س٢: وضح لنا ما تعرفه عن تفسير " الدر المنثور".

---

(١) تم تجميع هذا الدرس من كتاب المفسرون للسيد علي ايازي.

الدرس التاسع عشر: نماذج من التفسير
عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أهداف الدرس

١ـ التعرف على نموذج من التفسير الشيعي القديم.

٢ـ التعرف على نموذج من التفسير الشيعي الحديث.

المحتوى العلمي

أوّلاً: التفسير القديم ذو المنهج الكامل عند الشيعة (التبيان للشيخ الطوسي نموذجاً)

[سورةالنصر (١١٠): الآيات ١ إلى ٣]

﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

ثلاث آيات. التبيان في تفسيرالقرآن، ج ١٠، ص: ٤٢٥

هذا وعد من اللّه تعالى لنبيه ﷺ بالنصر بالفتح قبل وقوع الأمر. وقال الحسن ومجاهد: وعده اللّه فتح مكة ونصرته على كفار قريش، فيجيء

النصر وقوعه على التوقع له، والنصر المعونة على العدو للظهور عليه، لأنّ المعونة قد تكون بالمال على نوائب الزمان، وقد تكون على العدوّ للظهور عليه، وهي النصر دون المعونة الأخرى. والفتح الفرج الذي يمكن معه الدخول في الأمر بملك العدوّ الناصب للحرب، وقد يكون الفرج بالفرق فقط، فلا يكون الفتح بذهاب العدو الذي صار علماً على هذا المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ يعني في طاعة الله وطاعتك: من الإسلام والتزام الأحكام واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به. وأصل الدين الجزاء. ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء، كما قال ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[1] أي في طاعته. والفوج جماعة من جماعة، والأفواج جماعات من جماعات. وهكذا الناس يدخلون في الدين جماعة بعد جماعة من جملة القبيلة حتى يتكامل إسلام الجميع.

وقوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بأن ينزهه عما لا يليق به من صفات النقص، وأن يستغفره. ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح، أنّ النعمة به تقتضي القيام بحق النعمة المنافي للمصيبة. فكأنّه قال قد حدث أمر يقتضي الاستغفار ممّا جدده الله لك فاستغفره بالتوبة يقبل ذلك منك، ومخرجه مخرج الخطاب للنبي ﷺ وهو تعليم لجميع أمته. ومعنى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نزّهه عما لا يجوز عليه مع شكرك إياه. وقيل معناه: صلّ شكراً له على ما جدد لك من نعمة. والاستغفار قد

(١) سورة ١٢يوسف: ٧٦.

يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الإصرار، وقد يكون على وجه التسبيح، والانقطاع إلى الله.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ معناه إنّه يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى.

والتوّاب في صفة الله الكثير القبول للتوبة، وفي صفة العباد الكثير الفعل للتوبة. وقال قتادة: عاش النبي صلى الله عليه وآله بعد هذا سنتين ثمّ توفي صلى الله عليه وآله.

ثانياً: التفسير الروائي القديم عند الشيعة (البرهان للسيد هاشم البحراني نموذجا)

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[١ـ٣].

١١٩٣٦/ الشيخ في (أماليه) قال: أخبرنا محمد بن محمد ـ يعني المفيد ـ قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن العباس، قال: لما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، قال له علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما هو الكوثر يا رسول الله؟». قال: «نهر أكرمني الله به».

قال علي عليه السلام: «إن هذا النهر شريف، فأنعته لنا يا رسول الله»؟ قال: «نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل والين من الزبد، حصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجل».

ثمّ ضرب رسول الله ﷺ يده على جنب أمر المؤمنين عليه السلام وقال: «يا علي، إن هذا النهر لي، ولك، ولمحبيك من بعدي»[١].

ورواه المفيد في (أماليه) قال: أخبرني أبو الحسن علي بن بلال المهلبي، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسين البغدادي، قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثني أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن العباس، قال: لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال له علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما هو الكوثر يا رسول الله». وذكر الحديث بعينه[٢].

١١٩٣٧/ وعنه، قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن، قال: حدثني أبي، عن سعيد[٣] بن عبد الله بن موسى، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن العرزمي، قال حدثنا المعلى بن هلال، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن عبد الله بن العباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطاني الله تعالى خمساً وأعطى علياً خمساً، أعطاني جوامع الكلم، وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلني نبياً، وجعله وصياً، وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه، وفتح له

---

(١) الأمالي ١: ٦٧.

(٢) الأمالي: ٢٩٤/ ٥.

(٣) في «ج»: سعد.

أبواب السماء والحجب حتى نظر إلى ونظرت اليه»[(١)].

قال: ثمّ بكى رسول الله ﷺ، فقلت له: ما يبكيك فداك أبي وأمي؟ قال: «يا بن عباس، إنّ أول ما كلمني به أن قال: يا محمد، انظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إلي، فكلمني وكلمته، وكلمني ربي عز وجل».

فقلت: يا رسول الله بم كلمك ربك؟ قال: «قال لي: يا محمد، إني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه، فها هو يسمع كلامك. فأعلمته وأنا بين يدي ربي عزّ وجل، فقال لي: قد قبلت وأطعت. فأمر الله الملائكة أن تسلّم عليه، ففعلت، فرد عليهم السّلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة أن تسلّم عليه، ففعلت، فرد عليهم السّلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء إلّا هنؤوني وقالوا: يا محمد، والذي بعثك بالحق نبياً، لقد جخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عز وجل لك ابن عمك، ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل لم نكس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمد، ما من الملائكة إلا وقد نظر إلى وجه علي بن أبي طالب استبشاراً به، ما خلا حملة العرش فإنّهم استأذنوا الله عز وجل[(٢)] الساعة، فأذن لهم أن ينظروا إلى علي بن أبي طالب، فنروا

(١) الأمالي ١: ١٠٢.

(٢) زاد في المصدر: في هذه.

إليه، فلما هبطت جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أني لم أطأ موطناً إلّا وقد كشف لعلي عنه حتى نظر اليه».

قال ابن عباس: فقلت: يا رسول الله، أوصني. فقال: «عليك بمودة علي بن أبي طالب، والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب، وهو تعالى أعلم، فإن جاء بولايته، قبل عمله على ما كان منه، وغن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء، ثم أمر به إلى النار.

يا بن عباس، والذي بعثني بالحق نبياً، إنّ النار لأشد غضباً على مبغض علي منها على من زعم أنّ لله ولداً.

يا بن عباس، لو أنّ الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين اجتمعوا على بغض علي، ولن يفعلوا، لعذبهم الله بالنار».

قلت يا رسول الله، وهل يبغضه أحد؟ قال: «يا بن عباس نعم، يبغضه قوم يذكرون أنهم من أمتي، لم يجعل الله لهم في الإسلام نصيباً. يا بن عباس، إن من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه. والذي بعثني بالحق نبياً، ما بعث الله نبياً أكرم عليه مني، ولا وصياً أكرم عليه من وصيي [(١)].

قال ابن عباس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله ﷺ ووصاني بمودته، وإنه لأكبر عملي عندي. قال ابن عباس: ثمّ مضى من الزمان ما مضى، وحضرت رسول الله ﷺ الوفاة، حضرته فقلت له: فداك أبي وأمي يا رسول

---

(١) زاد في المصدر: عليّ.

الله، قد دنا أجلك، فما تأمرني؟ فقال: «يا بن عباس، خالف من خالف علياً، ولا تكونن لهم ظهيراً ولا ولياً».

قلت: يا رسول الله، فلم لا تأمر الناس بترك مخالفته؟ قال: فبكى ﷺ حتى أغمي عليه، ثم قال: «يا بن عباس [قد] سبق فيهم علم ربي. والذي بعثني بالحق نبياً، لا يخرج أحد ممن خالفه من الدنيا، وأنكر حقه، حتى يغير الله تعالى ما به من نعمة. يا بن عباس، إذا أردت أن تلقى الله وهو عنك راض، فاسلك طريقة علي بن أبي طالب، ومل معه حيث مال، وأرض به إماماً، وعاد من عاداه، ووال من والاه. يا بن عباس، احذر أن يدخلك شك فيه، فإنّ الشك في علي كفر بالله عز وجل».

١١٩٣٨/ وعنه: بإسناده، عن عطاء بن السائب، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قال النبي ﷺ أعطيت جوامع الكلم»[1].

قال عطاء: فسألت أبا جعفر عليه السلام: ما جوامع الكلم؟ قال: «القرآن».

١١٣٩٣/ محمد بن العباس: عن أحمد بن سعيد العمالي، من ولد عمار بن ياسر، عن إسماعيل بن زكريا، عن محمد بن عون، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال: نهر في الجنة، عمقه في الأرض سبعون ألف فرسخ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت، خص الله تعالى به نبيه وأهل بيته (صلوات الله

(١) الأمالي ٢: ٩٩.

عليهم أجمعين) دون الأنبياء[١].

١١٩٤٠/ وعنه: عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن الحسن، عن أبيه، عن حصين بن مخارق، عن عمرو ابن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أراني جبرئيل منازلي في الجنة، ومنازل أهل بيتي، عن الكوثر»[٢].

١١٩٤١/ وعنه: عن السن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن مسمع بن أبي سيار، عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لما أسرى بي إلى السماء السابعة، قال لي جبرئيل عليه السلام: تقدم يا محمد أمامك. وأراني الكوثر، وقال: يا محمد، هذا الكوثر لك دون النبيين، فرأيت عليه قصوراً كثيرة من اللؤلؤ والياقوت والدر، وقال: يا محمد، هذه مساكنك ومساكن وزيرك ووصيك علي بن أبي طالب وذريته الأبرار»، قال: «فضربت بيدي على بلاطه فشممته فإذا هو مسك، وإذا أنا بقصور، لبنة من ذهب ولبنة من فضة»[٣].

١١٩٤٢/ وعنه: عن أحمد بن هوذة، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الغداة، ثم التفت إلى علي عليه السلام، فقال: [يا علي] ما هذا النور الذي أراه قد

(١) تأويل الآيات ٢: دأ ١/٥.

(٢) تأويل الآيات ٢: ٥٨٦/ ٢.

(٣) تأويل الآيات ٢: ٥٨٦/ ٣.

غشيك؟ يا رسول الله، أصابتني جنابة في هذه الليلة، فأخذت بطن الوادي فلم أصب الماء، فلما وليت ناداني مناد: يا أمير المؤمنين، فالتفت فإذا خلفي إبريق مملوء من ماء، وطست من ذهب مملوء من ماء، فاغتسلت. فقال رسول الله ﷺ: يا علي أمّا المنادي فجبرئيل، والماء من نهر يقال له الكوثر، عليه اثنتا عشرة ألف شجرة، كل شجرة لها ثلاثمائة وستون غصناً، فإذا أراد أهل الجنة الطرب، هبت ريح، فما من شجرة ولا غصن إلا وهو أحلى صوتاً من الآخر، ولو لا أنّ الله تبارك وتعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا، لماتوا فرحا من شدة حلاوة تلك الأصوات، وهذا النهر في جنة عدن، وهو لي ولك ولفاطمة والحسن والحسين وليس لأحد فيه شيء»(١).

١١٩٤٣/ السيد الرضي في كتاب (المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة) قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر بن أحمد العطار الشافعي، بقراءتي عليه فأقرّ به، أخبره عبد الله بن محمد بن عثمان الملقب بالسقاء الحافظ الواسطي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن عيسى الرازي البصري، عن محمد بن عبيدة الأصفهاني، عن محمد بن حميد الرازي عن جرير بن عبد الحميد، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «امضيا إلى علي حتى يحدثكما ما كان في ليلته، وأنا على أثركما»(٢).

---

(١) تأويل الآيات٢: ٨٥٧/ ٤.

(٢) العمدة ٣٧٥/ ٧٣٨.

قال أنس: فمضينا فاستأذنا على علي عليه السلام، فخرج الينا، وقال: «أحدث شيء؟». قلنا: لا، بل قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: «امضيا إلى علي يحدثكما ما كان منه في ليلته». وجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: « يا علي حدثهما ما كان منك في ليلتك». فقال: «إني لأستحي يا رسول الله». فقال: «حدثهما، فإن الله لا يستحي من الحق».

فقال علي: «إنّ البارحة أردت الماء للطهارة، وقد أصبحت وخفت أن تفوتني الصلاة، فوجهت الحسن في طريق والحسين في أخرى، فأبطيا علي فأحزنني ذلك، فبينما أنا كذلك فإذا السقف قد انشق ونزل منه سطل مغطى بمنديل، فلما صار في الأرض نحيت المنديل فإذا فيه ماء فتطهرت للصلاة واغتسلت بباقية، وصليت، ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف». فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ولهما: «أما السطل فمن الجنة، والماء فمن نهر الكوثر، والمنديل فمن إستبرق الجنة، من مثلك -يا علي -وجبرئيل ليلتك يخدمك!».

١١٩٤٤/ الطبرسي في (الاحتجاج): في حديث النبي صلى الله عليه وآله مع اليهود، قالت اليهود: نوح خير منك، قال النبي صلى الله عليه وآله: «ولم ذلك؟» قالوا: وما ذاك؟ قال: «إن الله عز وجل أعطاني نهراً في الجنة[1] مجراه من تحت العرش وعليه ألف ألف قصر، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، حشيشها الزعفران،

(١) في «ج» والمصدر: السماء.

ورضراضها[1] الدر والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذلك خير لي ولأمتي، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. قالوا: صدقت يا محمد، هو مكتوب في التوراة، وهذا خير من ذلك[2].

١١٩٤٥/ الطبرسي، قال: روي عن أبي عبد الله عليه السلام في معنى الكوثر، قال: «نهر في الجنة أعطاه الله نبيه صلى الله عليه وآله عوضاً عن ابنه». قال: وقيل: [هو] الشفاعة. رووه عن الصادق عليه السلام[3].

١١٩٤٦/ ابن الفارسي في (الروضة): قال ابن عباس: لما نزلت: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فقرأها على الناس، فلما نزل قالوا: يا رسول الله، ما هذا الذي [قد] أعطاك الله؟ قال: «نهر في الجنة، أشد بياضاً من اللبن، وأشدّ استقامة من القدح[4]، حافتاه قباب الدر والياقوت ترده طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت».

قالوا: يا رسول الله، ما انعم هذا الطائر! قال: «أفلا أخبركم بأنعم منه؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من أكل الطير وشرب الماء، وفاز برضوان الله».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خيرت بين أن يدخل شطر أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أ ترونها للمؤمنين المتقين؟ لا،

---

(١) الرّضراض: ما دقّ من الحصى، والأرض المرضوضة بالحجارة. «أقرب الموارد ـ رضرض ـ ١: ٤٠٩».

(٢) الاحتجاج: ٤٨.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٨٣٦.

(٤) القدح: السّهم قبل أن ينصل ويراش. «لسان العرب ـ قدح ـ ٢: ٥٥٦».

ولكنها للمؤمنين المتلوثين الخطائين»[١].

وأحاديث الكوثر كثيرة، اقتصرت على ذلك مخافة الإطالة.

١١٩٤٧/ الشيخ في (أماليه) قال: أخبرنا الحفار، قال: حدثنا إسماعيل، قال: حدثنا أبو مقاتل الكشي ببغداد، قدم علينا سنة أربع وسبعين ومائتين في قطيعة الربيع، قال: حدثنا أبو مقاتل السمرقندي، قال: حدثنا مقاتل بن حيان، قال: حدثنا الأصبغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: «لما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ قال: يا جبرئيل، ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟ قال: يا محمد، إنها ليست نحيرة، ولكنها رفع الأيدي في الصلاة»[٢].

١١٩٤٨/ محمد بن يعقوب: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن حماد، عن حريز، عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾؟ قال «النحر: الاعتدال في القيام، أن يقيم صلبه ونحره». وقال: «لا تكفر، فإنّما يصنع ذلك المجوس، ولا تلثم، ولا تحتفز[٣]، ولا تقع على قدميك، ولا تفترش ذراعيك»[٤].

١١٩٤٩/ الطبرسي: في معنى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ عن عمر بن يزيد، قال:

---

(١) روضة الواعظين: ٥٠١.

(٢) الأمالي ١: ٣٨٦.

(٣) احتفز: استوى جالساً على وركيه، وقيل: استوى جالساً على ركبتيه كأنّه ينهض. «لسان العرب ٥: ٣٣٧».

(٤) الكافي ٣: ٣٣٦/ ٩.

سمعت أبا عبد الله عليه السلام [يقول] في قوله: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ: «هو رفع يديك حذار وجهك». وروى عنه عبد الله بن سنان مثله[١].

١١٩٥٠/ وعن جميل، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ؟ فقال بيده هكذا، يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة[٢].

١١٩٥١/ وروي عن مقاتل بن حيان، عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «لما نزلت هذه السورة، قال النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام: ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي؟ قال: ليست بنحيرة، ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة، أن ترفع يديك إذا كبرت، وإذا ركعت، وإذا رفعت رأسك من الركوع، وإذا سجدت، فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع، فإن لكل شيء زينة وإن زينة الصلاة رفع الأيدي عند كل تكبيرة»[٣].

قال النبي صلى الله عليه وآله «رفع الأيدين من الاستكانة. قلت: وما الاستكانة؟ قال: «ألا تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ؟﴾»[٤].

١١٩٥٢/ علي بن إبراهيم، في معنى السورة: قوله: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، قال: نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله صلى الله عليه وآله عوضاً عن ابنه إبراهيم. قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص، فقال

(١) مجمع البيان ١٠: ٨٣٧.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٨٣٧.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٨٣٧.

(٤) المؤمنون ٢٣: ٧٦.

عمرو: يا أبا الأبتر، وكان الرجل في الجاهلية إذا لم يكن له ولد سمي أبتر، ثم قال عمرو: إني لأشنأ محمدا، أي أبغضه. فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ [أي مبغضك عمرو بن عاص] هُوَ الأَبْتَرُ﴾ يعني لا دين له ولا نسب[١].

١١٩٥٣/ ابن بابويه: بإسناده، عن أمير المؤمنين عليه السلام، في حديث: «أشرّ الأولين والآخرين اثنا عشر». إلى أن قال في الستة الآخرين: «والأبتر: عمرو بن العاص»[٢].

١١٩٥٤/ محمد بن العباس ـ قال: حدثنا محمد بن مخلد الدهان، عن علي بن شهد القريضي[٣] بالرقة، عن إبراهيم بن علي بن جناح، عن الحسن بن علي بن محمد بن جعفر[٤]، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: «[ولقد] قال عمرو بن العاص على منبر مصر: محي من كتاب الله ألف حرف وحرف منه ألف. حرف، وأعطيت مائتي ألف درهم على أن أمحو ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فقالوا: لا يجوز ذلك. [قلت]: فكيف جاز ذلك لهم، لم يجز لي؟ فبلغ ذلك معاوية، فكتب اليه: قد بلغني ما قلت على منبر مصر، ولست هناك».

---

(١) تفسير القمّي ٢: ٤٤٥.

(٢) الخصال: ٣٥٩/ ٢.

(٣) تفسير الفرقان: ج ٣٠، ص٥٠٣.

(٤) المصدر السابق.

ثالثاً: التفسير الحديث: الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي نموذجاً)

الآيات [سورة المسد (١١١): الآيات ١ إلى ٥]

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

سبب النّزول

عن ابن عباس قال: عند ما نزلت وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ أمر النّبي ﷺ أن ينذر عشيرته ويدعوهم إلى الإسلام (أي أن يعلن دعوته).

صعد النبي ﷺ على جبل الصفا ونادى: «يا صباحاه»! (وهو نداء يطلقه العرب حين يهاجمون بغتة كي يتأهبوا للمواجهة، وإنّما اختاروا هذه الكلمة لأنّ الهجوم المباغت كان يحدث في أوّل الصبح غالباً).

عند ما سمع أهل مكّة هذا النداء قالوا: من المنادي؟ قيل: محمّد. فأقبلوا نحوه، ويدأ ينادي قبائل العرب بأسمائها، ثمّ قال لهم: أ رأيتم لو أخبرتكم أنّ العدوّ مصبّحكم أو ممسّيكم، أما كنتم تصدقوني.

قالوا: بلى. قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تبّا لك. لهذا دعوتنا جميعاً؟! فأنزل الله هذه السّورة. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص: ٥٣٣.

وقيل: إن امرأة أبي لهب (واسمها أم جميل) علمت أنّ هذه السّورة نزلت فيها وفي زوجها. جاءت إلى النبيّ ﷺ والنبي لا يراها، حملت حجراً وقالت: سمعت أنّ محمّداً هجاني، قسماً لو وجدته لألقمن فمه هذا الحجر.

أنا شاعرة أيضاً. ثمّ أنشدت أشعاراً في ذم النّبي والإسلام[١].

خطر أبي لهب وامرأته على الإسلام لم يكن منحصراً فيما ذكرناه. وإذ نرى القرآن يحمل عليهما بشدّة ويذمهما بصراحة، فلأسباب أخرى، سنشير إليها فيما بعد.

التّفسير

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ:

هذه السورة ـ كما ذكرنا في سبب نزولها ـ ترد على بذاءات أبي لهب عمّ النّبي ﷺ وابن عبد المطلب. وكان من ألد أعداء الإسلام، وحين صدح النّبي بدعوته وأعلنها على قريش وأنذرهم بالعذاب الإلهي قال: «تبا لك أ لهذا دعوتنا جميعاً»؟! والقرآن يرد على هذا الإنسان البذيء ويقول له:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.

«التّب» و«التاب» يعني الخسران المستمر كما يقول الراغب في مفرداته، أو هو الخسران المنتهي بالهلاك كما يقول الطبرسي في مجمع البيان.

وبعض اللغويين قال: إنّه القطع والبتر. وهذا المعنى الأخير هو النتيجة الطبيعية للخسران المستمر المنتهي بالهلاك.

الهلاك والخسران في الآية يمكن أن يكون دنيوياً، ويمكن أن يكون معنوياً أخروياً، أو كليهما.

---

(١) الشعراء، الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.

وهنا يثار تساؤل بشأن سبب ذم هذا الشخص باسمه ـ وهو خلاف نهج القرآن ـ وبهذه الشدّة.

يتّضح ذلك لو عرفنا مواقف أبي لهب من الدعوة.

اسمه «عبد العزى» وكنيته «أبو لهب» وقيل إنّه كنيّ بذلك لحمرة كانت في وجهه.

وامرأته «أم جميل» أخت أبي سفيان، وكانت من أشدّ النّاس عداوة وأقذعهم لسانا تجاه النّبي ﷺ ودعوته.

وفي الرّواية عن «طارق المحاربي» قال: بينا أنا بسوق ذي المجاز إذا أنا بشاب يقول: «يا أيّها النّاس قولوا لا اله إلّا الله تفلحوا». وإذا برجل خلفه يرميه قد ارمى ساقيه وعرقوبيه ويقولك يا أيّها النّاس إنّه كذاب فلا تصدقوه. فقلت: من هذا؟ فقالوا هو محمّد يزعم أنّه نبيّ. وهذا عمّه أبو لهب يزعم أنّه كذاب.

وفي رواية عن «ربيعة بن عباد» قال: كنت مع أبي أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول ووضيء الوجه. يقف رسول الله صلّى الله عليه آله وسلّم على القبيلة فيقول: «يا بني فلان. إنّي رسول الله اليكم. آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغ من مقالته قال: الآخر من خلفه: يا بني فلان. هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم منالجن، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه.

فقلت لأبي: من هذا؟ قال عمّه أبو لهب.

وفي رواية أخرى: وكان من عظيم خطر أبي لهب ضد الدعوة الإسلامية أنّه كلما جاء وفد إلى النّبي ﷺ يسألون عنه عمّه أبا لهب ـ اعتباراً بكبره وقرابته وأهميته ـ كان يقول لهم: إنّه ساحر، فيرجعون ولا يلقونه، فأتاه وفد فقالوا: لا ننصرف حتى نراه، فقال: إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتباً له وتعساً[١].

من هذه الرّوايات نفهم بوضوح أنّ أبا لهب كان يتتبع النّبي ﷺ غالباً كالظلّ.

وما كان يرى سبيلاً لإيذائه إلّا سلكه. وكان يقذعه بأفظع الألفاظ. ومن هنا كان أشدّ أعداء الرسول والرسالة. ولذلك جاءت هذه السّورة لتردّ على أبي لهب وامرأته بصراحة وقوّة[٢]. إنّه الوحيد الذي لم يوقع على ميثاق حماية بني هاشم للرسول ﷺ ووقف في صف الأعداء، واشترك في عهودهم. من كلّ ما سبق نفهم الوضع الاستثنائي لهذه السّورة.

ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ، فليس بإمكان أمواله أن تدرأ عنه العذاب الإلهي. سَيَصْلى ناراً ذات لَهَبٍ.

من الآية الأولى نفهم أنّه كان ثرياً ينفق أمواله في محاربة النّبي ﷺ. وأبو لهب ناره ذات لهب يصلاها يوم القيامة. وقيل يصلاها في الدنيا قبل

---

(١) تفسير الفرقان، ج ٣٠، ص٥٠٣.

(٢) المصدر السابق.

الآخرة. و«لهب» جاءت بصيغة النكرة لتدل على عظمة لهب تلك النّار.

لا أبا لهب ولا أي واحد من الكافرين والمنحرفين تغنيه أمواله ومكانته الاجتماعية من عذاب الله، كما يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

بل لم تغنه في الدنيا من سوء المصير. حيث جاء في الرّواية، أنّ أبا لهب لم يشترك في بدر، بل أرسل من ينوب عنه. وبعد اندحار المشركين وعودتهم إلى مكّة، هرع أبو لهب ليسأل أبا سفيان عن الخبر. فأخبره أبو سفيان بالهزيمة وقال: «وأيم الله ما لمت النّاس. لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض. . . » قال أبو رافع (مولى العباس) وقد كان جالساً: تلك الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضرب وجهه ضربة شديدة، ثمّ حمله وضرب به الأرض، ثمّ برك عليه يضربه وكان رجلاً ضعيفاً.

وما أن شهدت أم الفضل (زوجة العباس)، وكانت جالسة أيضاً، ذلك حتى أخذت عموداً وضربت أبا لهب على رأسه وقالت: تستضعفه إن غاب عنه سيّده؟! فقام مولياً ذليلاً.

قال أبو رافع: فو الله ما عاش إلّا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة (مرض يشبه الطاعون) فمات. وقد تركه أبناه ليلتين أو ثلاثة ما يدفنانه حتى أنتن في بيته.

فلما عيّر هما النّاس بذلك أخذ وغسل بالماء قذفاً عليه من بعيد، ثمّ

(١) الشعراء، الآيتان ٨٨ ـ ٨٩.

أخذوه فدفنوه بأعلى مكّة وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه[1].

وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ[2]، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ.

الآيتان تتحدثان عن «أم جميل» امرأة أبي لهب، وأخت أبي سفيان، وعمّة معاوية. وتصفانها بأنّها تحمل الحطب كثيراً، وفي رقبتها حبل من ليف النخيل.

ولماذا وصفها القرآن بأنّها حمالة الحطب؟

قيل: لأنّها كانت تأخذ الحطب المملوء بالشوك وتضعه على طريق رسول الله ﷺ لتدمي قدماه.

وقيل: إنّه كناية عن النميمة.

وقيل: إنّه كناية عن شدّة البخل، فهي مع كثرة ثروتها أبت أن تساعد الفقراء وكانت شبيهة بحمال الحطب الفقير.

وقيل: إنّها في الآخرة تحمل أوزاراً ثقيلة على ظهرها.

وبين هذه المعاني، المعنى الأوّل أنسب، وإن كان الجمع بينها غير مستبعد أيضاً.

«الجيد» هو الرقبة، وجمعه أجياد. وقال بعض اللغويين: الجيد والعنق والرقبة لها معنى واحد، مع تفاوت هو إن الجيد أعلى الصدر، والعنق القسم

---

(١) بحار الأنوار، ج١٩، ص٢٢٧.

(٢) «امرأته» معطوف على ضمير مستتر في «سيصلى» و«حمالة» حال منصوب. وقيل إنّها منصوبة بالشتم كما ذهب إلى ذلك الزمخشري في الكشاف، والتقدير: أذّم حمالة الحطب. والمعنى الأوّل أفضل.

الخلفي من الرقبة، والرقبة لجميعها، وقد يسمّى الإنسان بها كقوله سبحانه: فَكُّ رَقَبَةٍ أي فك الإنسان وإطلاق سراحه[1].

«مسد» هو الحبل المفتول من الالياف. وقيل: حبل يوضع على رقبتها في جهنّم، له خشونة الالياف وحرارة النّار وثقل الحديد.

وقيل: إنّ نساء الأشراف كن يرين شخصيتهنّ في وسائل الزينة وخاصّة القلادة الثمينة. والله سبحانه يلقي في عنقها يوم القيامة حبل من ليف للإهانة. أو أن التعبير أساساً للتحقير والإهانة.

وقيل: إنّ هذه العبارة تشير إلى أنّ أم جميل أقسمت أن تنفق ثمن قلادتها الثمينة على طريق معاداة الرسول صلى الله عليه وآله. ولذلك تقرر لها هذا العذاب.

ملاحظات

١ـ إعجاز آخر.

علمنا أن هذه الآيات نزلت في مكّة والقرآن أخبر بتأكيد كامل أنّ أبا لهب وامرأته من أهل النّار، أي سوف لا يؤمنان أبداً. وهكذا كان كثير من مشركي مكّة آمنوا عن غيمان أو عن استسلام. لكن هذين الزوجين لم يؤمنا لا حقيقة ولا ظاهرا. وهذا من أنباء الغيب في القرآن. وفي القرآن الكريم مثل هذه الأخبار في آيات أخرى.

وتشكل بمجموعها فصلاً من فصول إعجاز القرآن تحت عنوان «الأخبار الغيبية». وكان لنا بحوث عندها.

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٢، ص١٥٨.

٢ـ جواب عن سؤال:

القرآن أخبر عن أبي لهب بأنّه سيصلى النّار، أي أنّه سيموت كافراً ولن يؤمن أبداً. وبهذا لا يمكن لأبي لهب أن يؤمن لأنّ نبوءة القرآن ستكون عندئذ كاذبة.

وإلّا سيكون أبو لهب مجبراً على الكفر. وليس له اختيار؟! مثل هذا السؤال يطرح عن علم الله سبحانه في مبحث الجبر والتفويض. وهو أنّ الله سبحانه يعلم من الأزل بكل شيء. بطاعة المطيعين ومعصية المذنبين أيضاً.

ألّا يكون العصاة بذلك مجبرين على الذنب؟ وإن لم يكونوا كذلك ألّا يتبدل علم الله إلى جهل؟! الفلاسفة الإسلاميون أجابوا عن هذا السؤال منذ القدم وقالوا: إنّ الله سبحانه يعلم ما يفعله كل شخص بالاستفادة من حريته واختياره. ففي هذه الآيات مثلاً يعلم الله منذ البداية أن أبا لهب وزوجته سيختاران بإرادتهما وعن رغبتهما طريق الكفر، لا بالإجبار.

بعبارة أخرى، عنصر الحرية والاختيار أيضاً جزء ممّا هو معلوم عند الله تعالى. أنّه على علم بما يعمله العباد وهم مختارون متمتعون بالإرادة والحرية.

ومن المؤكّد أنّ مثل هذا العلم والإخبار عن المستقبل، تأكيد على الاختيار، لا على الإجبار. (تأمل بدقّة).

٣ـ (ليس من أهلك) هذه السّورة المباركة تؤكّد مرّة أخرى أنّ القرابة لا قيمة لها إن لم تكن مقرونة برباط رسالي. وحملة الرسالة الإلهية كانوا لا

يلينون أمام المنحرفين والجبابرة والطغاة مهما كانت درجة قربهم منهم.

مع أنّ أبا لهب كان من أقرب أقرباء الرسول ﷺ فقد عامله الإسلام مثل سائر المنحرفين والضالين، حين فصل مسيرة العقائدي والعملي عن خط التوحيد، ووجّه إليه أشدّ الردّ وأحدّ التوبيخ. وعلى العكس ثمّة أفراد بعيدون عن الرسول نسباً وقومية ولغةً، كانوا بسبب ارتباطهم الرسالي من القرب من الرّسول ﷺ حتى قال في أحدهم: «سلمان منّا أهل البيت».

صحيح أن آيات هذه السّورة توجّه التقريع لأبي لهب وزوجه، ولكن كان ذلك لما اتصفا به من صفات. من هنا فإنّ كل فرد أو جماعة على هذه الصفات سيواجهون مصيراً مشابهاً أيضاً.

اللهم! طهر قلوبنا من كل لجاج وعناد! ربّنا! كلّنا من مصيرنا وجلون، فبفضلك ومنّك اجعل عواقب أمورنا خيراً.

إلهنا! نحن نعلم أنّ الأموال والقرابة لا تغني عنّا شيئاً يوم الفزع الأكبر فاشملنا برحمتك ولطفك.

آمين ياربّ العالمين نهاية سورة تبّت.

الدرس العشرون: نماذج من التفسير عند مدرسة أهل السنة

أهداف الدرس

١ـ التعرف على نموذج من التفسير السني القديم.

٢ـ التعرف على نموذج من التفسير السني الحديث.

المحتوى العلمي

أولاً: التفسير القديم ذو المنهج الكامل: تفسير الطبري نموذجاً)

[تفسير سورة العصر]

القول في تأويل قوله تعالى:

وَالْعَصْرِ. . . إِلَّا الَّذِينَ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله:

وَالْعَصْرِ فقال بعضهم: هو قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر، فقال: العصر: هو الدهر. ذكر من قال ذلك: حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، فبقوله:

وَالْعَصْرِ قال: العصر: ساعة من ساعات النهار. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عنالحسن وَالْعَصْرِ قال: هو العشي. والصواب من

القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر وَٱلۡعَصۡرِ اسم للدهر، وهو العشي والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه. وقوله: إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ يقول: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان. وكان علي رضي الله عنه يقرأ ذلك: وإن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر.

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مر، قال: سمعت عليا رضي الله عنه يقرأ هذا الحرف: «و العصر ونوائب الدهر إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر». حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ففي بعض القراءات: «وإنه فيه إلى آخر الدهر». حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مر، أن عليا رضي الله عنه قرأها: «والعصر ونوائب الدهر، إن الإنسان لفي خسر». حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إلا من آمن. إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ يقول: إلا الذين صدقوا الله ووحدوه، وأقروا له بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات، وأدوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيهم، واستثنى الذين آمنوا عن الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد. وقوله: وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه

فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قالا أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة وتَواصَوْا بالحقّ والحق: كتاب الله. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر عن الحسن وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ قال: الحق كتاب الله. حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا خطاب بن عثمان، قال: ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو روح السكوني، حمصي لقيته بأرمينية، قال: سمعت الحسن يقول في وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ قال: الحق: كتاب الله. وقوله: وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ قال: الصبر: طاعة الله. حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا خطاب بن عثمان، قال: ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو روح، قال: سمعت الحسن يقول في قوله وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ قال: الصبر: طاعة الله. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ قال: الصبر: طاعة الله.

آخر تفسير سورة والعصر.

ثانياً: التفسير الروائي القديم عند أهل السنة (تفسير الدر المنثور للسيوطي نموذجاً)

(سورة الناس)

أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قال: أنزل بالمدينة قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ.

[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ إلى ٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ﴾.

وأخرج ابن مردويه، عن الحكم بن عمير الثمالي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الحذر أيها الناس وإياكم والوسواس الخناس فإنّما يبلوكم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

وأخرج ابن أبي شيبة عن إبراهيم التيمي رضي الله عنه، قال: أول ما يبدأ الوسواس من الوضوء.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مغفل، قال: البول في المغتسل يأخذ منه الوسواس.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مرة رضي الله عنه، قال: ما وسوسة بأولع ممّن يراها تعمل فيه.

وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب ذم الوسوسة عن معاوية بن أبي طلحة قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم أعمر قلبي من وسواس ذكرك واطرد عني وسواس الشيطان».

وأخرج ابن أبي داود في كتاب ذمّ الوسوسة، عن معاوية في قوله: الْوَسْواس الْخَنَّاس، قال، مثل الشيطان، كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس

إليه فإذا ذكر الله خنس وإن سكت عاد إليه فهو الوسواس الخناس.

وأخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وأبو يعلى وابن شاهين في (الترغيب) في (الذكر) والبيهقي في (شعب الايمان) عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «إنّ الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنّس وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس».

وأخرج ابن شاهين عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ للوسواس خطماً كخطم الطائر فإذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار في أذن القلب يوسوس، فإن ابن آدم ذكر الله نكص وخنس فلذلك سمّي الوسواس الخناس».

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، قال: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس).

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: «ما من مولود يولد إلاّ على قلبه الوسواس، فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس؛ فذلك قوله الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ).

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: الخناس الذي يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والإنس وكان يقال شيطان الإنس أشد على الناس من شيطان الجن، شيطان الجن يوسوس ولا تراه وهذا يعاينك معاينة.

وأخرج ابن أبي الدنيا، عن يحيى بن أبي كثير، قال: إنّ الوسواس له باب في صدر ابن آدم يوسوس منه.

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا وابن المنذر عن عروة بن رويم، إنّ عيسى بن مريم عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فجلى له، فإذا رأسه مثل رأس الحية واضعاً رأسه على ثمرة القلب، فإذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكره وضع رأسه على ثمرة قلبه فحدثه.

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة، قال: الوسواس محله على فؤاد الإنسان وفي عينه وفي ذكره، ومحله من المرأة في عينها وفي فرجها إذا أقبلت، وفي دبرها إذا أدبرت هذه مجالسه).

وأخرج ابن المنذر، عن ابن جريج، في قوله؛ مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاس، قال: (هما وسواسان، فوسواس من الجنة وهو الجن، ووسواس نفس الإنسان فهو قوله والناس).

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، عن قتادة في قوله مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاس، قال: إنّ من الناس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن).

ثالثاً: التفسير الحديث المعاصر(في ظلال القرآن للسيد قطب)

سورة الفلق مكيّة وآياتها خمس.

[سورة الفلق (١١٣): الآيات ١ إلى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ * ومِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا

وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

هذه السورة والتي بعدها توجيه من اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ﷺ ابتداءً وللمؤمنين من بعده جميعاً، للعياذ بكنفه، واللياذ بحماه، من كل مخوف: خافٍ وظاهر، مجهولٍ ومعلوم، على وجه الإجمال، وعلى وجه التفصيل.. وكأنّما يفتح اللّه ـ سبحانه ـ لهم حماه، ويبسط لهم كنفه، ويقول لهم، في مودة وعطف: تعالوا إلى هنا. تعالوا إلى الحمى. تعالوا إلى مأمنكم الذي تطمئنون فيه. تعالوا فأنا أعلم أنكم ضعاف وأنّ لكم أعداءً وأنّ حولكم مخاوفَ وهنا.. هنا الأمن والطمأنينة والسلام..

ومن ثمّ تبدأ كل منهما بهذا التوجيه. «قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ».. «قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»..

وفي قصة نزولها وقصة تداولها وردت عدّة آثار، تتفق كلها مع هذا الظل الذي استروحناه، والذي يتضح من الآثار المروية أنّ رسول اللّه ﷺ استروحه في عمق وفرح وانطلاق:

عن عقبة ابن عامر رضي اللّه عنه ـ أنّ رسول اللّه ﷺ قال: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط؟ قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس[1]».

وعن جابر ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال لي رسول اللّه ﷺ: «اقرأ يا جابر. قلت:

(١) أخرجه مالك ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.

ما ذا بأبي أنت وأمي؟ قال: اقرأ. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فقرأتهما. فقال: «اقرأ بهما فلن تقرأ بمثلهما[1]».

وعن ذر بن حبيش، قال: سألت أبي بن كعب ـ رضي اللّه عنه ـ عن المعوذتين. قلت: يا أبا المنذر إنّ أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا (وكان ابن مسعود لا يثبتهما في مصحفه ثمّ ثاب إلى رأي الجماعة وقد أثبتهما في المصحف)، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «قيل لي: قل. فقلت». فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ[2] وكل هذه الآثار تشي بتلك الظلال الحانية الحبيبة.

وهنا في هذه السورة يذكر الله ـ سبحانه ـ نفسه بصفته التي بها يكون العياذ من شر ما ذكر في السورة.

«﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾». . والفلق من معانيه الصبح، ومن معانيه الخلق كله. بالإشارة إلى كل ما يفلق عنه الوجود والحياة، كما قال في الأنعام: «﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾». وكما قال: «﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾».

وسواء كان هو الصبح فالاستعاذة برب الصبح الذي يؤمّن بالنور من شر كل غامض مستور، أو كان هو الخلق فالاستعاذة برب الخلق الذي يؤمّن من شر خلقه، فالمعنى يتناسق مع ما بعده. .

---

(١) أخرجه النسائي.

(٢) أخرجه البخاري.

«مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ». أي من شر خلقه إطلاقا وإجمالا. وللخلائق شرور في حالات اتصال بعضها ببعض.

كما أنّ لها خيراً ونفعاً في حالات أخرى. والاستعاذة بالله هنا من شرها ليبقى خيرها. والله الذي خلقها قادر على توجيهها وتدبير الحالات التي يتضح فيها خيرها لا شرها! «وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ». . والغاسق في اللغة الدافق، والوقب النقرة في الجبل يسيل منها الماء. والمقصود هنا ـ غالباً ـ هو الليل وما فيه. الليل حين يتدفق فيغمر البسيطة. والليل حينئذ مخوف بذاته. فضلا على ما يثيره من توقع للمجهول الخافي من كل شيء: من وحش مفترس يهجم. ومتلصص فاتك يقتحم، وعدو مخادع يتمكن. وحشرة سامة تزحف. ومن وساوس وهواجس وهموم وأشجان تتسرب في الليل، وتخنق المشاعر والوجدان، ومن شيطان تساعده الظلمة على الانطلاق والإيحاء. ومن شهوة تستيقظ في الوحدة والظلام. ومن ظاهرٍ وخافٍ يدب ويثب، في الغاسق إذا وقب! «وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ». . والنفاثات في العقد: السواحر الساعيات بالأذى عن طريق خداع الحواس، وخداع الأعصاب، والإيحاء إلى النفوس والتأثير والمشاعر. وهن يعقدن العقد في نحو خيط أو منديل وينفثن فيها كتقليد من تقاليد السحر والإيحاء! والسحر لا يغير من طبيعة الأشياء ولا ينشئ حقيقة جديدة لها. ولكنه يخيل للحواس والمشاعر بما يريده الساحر. وهذا هو السحر كما صوره القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام: سورة طه «قالُوا: يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ

ألقى. قالَ: بَلْ ألقُوا. فَإذا حِبالُهُمْ وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إليه مِنْ سِحْرِهِمْ أنَّها تَسْعى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى. قُلْنا: لا تَخَفْ إنَّكَ أنتَ الأعْلى. وألْقِ ما فِي يَمِينكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إنَّما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أتى...».

وهكذا لم تنقلب حبالهم وعصيهم حيات فعلاً، ولكن خيل إلى الناس ـ وموسى معهم ـ أنّها تسعى إلى حد أن أوجس في نفسه خيفةً، حتى جاءه التثبيت. ثمّ انكشفت الحقيقة حين انقلبت عصا موسى بالفعل حية فلقفت الحبال والعصي المزورة المسحورة.

وهذه هي طبيعة السحر كما ينبغي لنا أن نسلم بها. وهو بهذه الطبيعة يؤثر في الناس، وينشئ لهم مشاعر وفق إيحائه.. مشاعر تخيفهم وتؤذيهم وتوجههم الوجهة التي يريدها الساحر، وعند هذا الحد نقف في فهم طبيعة السحر والنفث في العقد.. وهي شر يستعاذ منه بالله، ويلجأ منه إلى حماه.

وقد وردت روايات ـ بعضها صحيح ولكنه غير متواتر ـ أنّ لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ ـ في المدينة.. قيل أياماً، وقيل أشهراً. حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء وهو لا يأتيهن في رواية، وحتى كان يخيّل إليه أنّه فعل الشيء ولم يفعله في رواية، وأنّ السورتين نزلتا رقية لرسول الله ﷺ فلما استحضر السحر المقصود ـ كما أخبر في رؤياه ـ وقرأ السورتين انحلت العقد، وذهب عنه السوء.

ولكن هذه الروايات تخالف أصل العصمة النبوية في الفعل والتبليغ،

ولا تستقيم مع الاعتقاد بأنّ كل فعل من أفعاله ﷺ وكل قول من أقواله سنة وشريعة، كما أنها تصطدم بنفي القرآن عن الرسول ﷺ أنّه مسحور، وتكذيب المشركين فيما كانوا يدعونه من هذا الإفك. ومن ثم تستبعد هذه الروايات. . وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة. والمرجع هو القرآن. والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول الاعتقاد. وهذه الروايات ليست من المتواتر. فضلا على أنّ نزول هاتين السورتين في مكة هو الراجح.

مما يوهن أساس الروايات الأخرى.

«وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ».

والحسد انفعال نفسي إزاء نعمة اللّه على بعض عباده مع تمني زوالها. وسواء اتبع الحاسد هذا الانفعال بسعي منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ، أو وقف عند حدّ الانفعال النفسي، فإنّ شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال.

ونحن مضطرون أن نطامن من حدة النفي لما لا نعرف من أسرار هذا الوجود، وأسرار النفس البشرية، وأسرار هذا الجهاز الإنساني. فهنالك وقائع كثيرة تصدر عن هذه الأسرار، ولا نملك لها حتى اليوم تعليلاً. هنالك مثلاً ذلك التخاطر على البعد. وفيه تتم اتصالات بين أشخاص متباعدين. اتصالات لا سبيل إلى الشك في وقوعها بعد تواتر الأخبار بها وقيام التجارب الكثيرة المثبتة لها. ولا سبيل كذلك لتعليلها بما بين أيدينا من معلومات.

وكذلك التنويم المغناطيسي. وقد أصبح الآن موضعاً للتجربة المتكررة المثبتة. وهو مجهول السر والكيفية. . وغير التخاطر والتنويم كثير من أسرار الوجود وأسرار النفس وأسرار هذا الجهاز الإنساني. . .

فإذا حسد الحاسد، ووجه انفعالاً نفسياً معيناً إلى المحسود فلا سبيل لنفي أثر هذا التوجيه لمجرد أنّ ما لدينا من العلم وأدوات الاختبار لا تصل إلى سر هذا الأثر وكيفيته. فنحن لا ندري إلّا القليل في هذا الميدان. وهذا القليل يكشف لنا عنه مصادفة في الغالب، ثم يستقر كحقيقة واقعة بعد ذلك! فهنا شر يستعاذ منه بالله، ويستجار منه بحماه[١].

والله برحمته وفضله هو الذي يوجه رسوله ﷺ وأمته من ورائه إلى الاستعاذة به من هذه الشرور. ومن المقطوع به أنّهم متى استعاذوا به ـ وفق توجيهه ـ أعاذهم. وحماهم من هذه الشرور إجمالاً وتفصيلاً.

وقد روى البخاري ـ بإسناده ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ «كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما، «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». . و«قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ».

و«قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس». ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات». وهكذا رواه أصحاب السنن.

---

(١) للأستاذ الشيخ محمد عبده رأي آخر في تفسير النفاثات في العقد وحاسد إذا حسد في تفسيره لجزء عم فيراجع هنالك. ومرجعه هو ما سبق أن ذكرنا في سورة الفيل من ميل المدرسة العقلية لتضييق نطاق الغيبيات. .

المحتويات